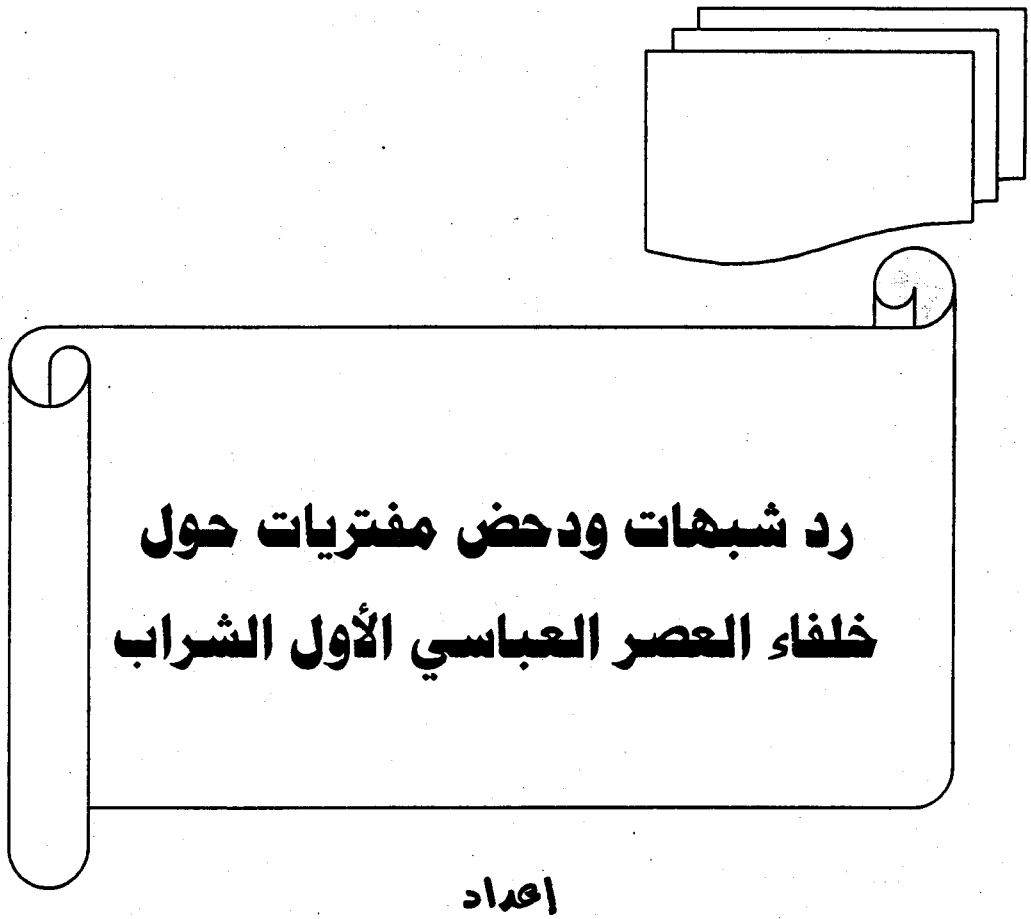


رد شبهات ودحض مفتريات حول خلفاء العصر العباسي الأول الشراب

إعداد

د/ محمود عبده نور الدين

قسم التاريخ والحضارة - جامعة الأزهر

لجنة التحكيم

أ.د/ محمد محمد عبد القادر الخطيب	عضو اللجنة العلمية الدائمة
أ.د/محمود عبد الفتاح شرف الدين	عضو اللجنة العلمية المحكمة

المقدمة

اعتاد المغرضون من المستشرقين ـــ وكثير مامهم ـــ والحاقدون من الرواة والمؤرخين، ومن سار على درب هؤلاء ونهج أولئك، على أن يجعلوا رموز الإسلام ورجالاته محط رحالهم ومرمى سهامهم،محاولين النيل منهم وإظهارهم على نقيض ما عرفوا به من دين وخلق، ظانين أنهم بهذا العمل ينالون من الإسلام ذاته فى إحدى صورة البارزة. وقد بذل الأولون من هؤلاء ـــ المستشرقون ـــ جهدا كبيرا فى سبيل تلك الغاية، كذلك نافسهم فى ذلك بعض البلهاء من الكتاب العرب الذين تتلمذوا على أيديهم وحسبوا على الفكر العربى والإسلامى.

وقد استند هؤلاءوأمثالهم فيمانقلوه وتصوروه إلى رواة وكتاب مسلمين حسبوا على الأدب والتاريخ الإسلاميين، وكذلك على كتاب ومؤرخين نصارى لهم مآرب معلومة فى كتاباتهم عن تاريخ المسلمين، وكذلك على روايات جاءت متناثرة فى مؤلفات عرف أصحابها بتاريخ تليد فى تراث الإسلام، إلا أنها هنات غالبها لم ينسب لهم بل لرواة نقلوا عنهم.

ومن المعلوم فى هذا الإطار أن هؤلاء المغرضين، على تفاوت درجاتهم وتباين مذاهبهم، جعل كل محمدة لرموز الإسلام مذمة، وكل كمال ـــ بشرى ـــ منقصة، بأساليب اعتادوا عليها وحيل طالما لجأوا إليها. وقد تعددت مواطن الطعن فة هؤلاء الرموز، فكانت أخلاقهم وسلوكهم وعاداتهم بل حتى دينهم، مرمى لسهامهم، وموطن لأحقادهم .

وقد سبق لى أن تناولت ـــ فى دراسة سابقة ـــ الرد على بعض تلك الشبه والدفاع عن هؤلاء الرموز ـــ الخلفاء ـــ المعنيين، قدر استطاعتى ومقدار جهدى.

وفى هذه الدراسة المتواضعة أواصل ما بدأته ـــ بعون الله ـــ بالرد على شبهة أخرى من تلك الشبهات التى رمى بها جل خلفاء العصر العباسى الأول، وهى شبهة الشراب ـــ أى شراب المسكر ـــ الذى حرم فى شريعة الإسلام.

وقد تم دراسة هذا الموضوع فى فصلين :

الفصل الأول : تناول الوقائع التى صورتها الروايات حول هذه الشبهة.
الفصل الثانى : وفيه تم دحض هذه الشبهة من خلال :

١ ـــ تفنيد هذه الشبهة عند المؤرخين، وتناول كل خليفة على حدة.
٢ ـــ نسبة الشاربين ومقدار الشراب حسبما جاء فى تلك الروايات.
٣ ـــ مصادر هذه الشبهة.
٤ ـــ حقيقة الشراب وحكمه.

وقد تتبعت مصادرالروايات التى حملت تلك الشبهة، وذلك عند رواة المصادر الأدبية المشهورة مثل الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وطبقات الشعراء لابن قتيبة وغيرها، وكذلك المصادر التاريخية ذات الصلة بهذه الروايات، مثل تاريخ الرسل والملوك للطبرى، ومروج الذهب للمسعودى، وسير أعلام النبلاء للذهبى، وتاريخ الخلفاء للسيوطى، وغيرها، وكذلك المؤرخين النصارى أمثال ابن العبرى فى تاريخ الزمان، وابن الراهب فى تاريخه المعروف باسمه، وسعيد بن البطريق فى تاريخه الموسوم ب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، وغيرهم.
أما المحدثون فمنهم : أحمد أمين فى ضحى الإسلام، ود. شوقى ضيف فى تاريخ الأدب العربى ـــ العصر العباسى الأول ـــ، ود. حسن إبراهيم حسن فى تاريخ الإسلام، ود عبد المنعم ماجد فى العصر العباسى الأول.

أما فيما يخص الرد على تلك الشبهات فقد اعتمدت على :

المصادر التاريخية التى أرخت لهؤلاء وذكرت كل ما يخص حياتهم، بما فى ذلك أخلاقهم وسلوكهم وعاداتهم وتقاليدهم، وهى كتب التاريخ العام، وبعض المصادر الأخرى ذات الصلة بذلك مثل التاج فى أخلاق الملوك للجاحظ ، والوزراء والكتاب للجهشيارى وغيرهما. كذلك بعض المؤرخين النصارى الذين تناولوا تاريخ هؤلاء الخلفاء وأبدوا انصافا لهم .

كذلك اعتمدت على بعض المصادر التى عرفت ووصفت أنواع الأشربة عموما وما كان يشربه بعض هؤلاء الخلفاء وكمه وكيفه، مثل رسائل الجاحظ ، كذلك اعتمدت على بعض المصادروالمراجع الحديثية و الفقهية التى تبين حكم هذا الشراب مثل موطأ الإمام مالك، والفقه على المذاهب الأربعة .

تمهيد

دأب الكثير من المستشرقين والكتاب المعاصرين، استنادا على روايات واهية وأخبار كاذبة، وكذلك هو جامح لتشويه الإسلام فى إحدى صوره، إلى تصوير حياة معظم خلفاء الإسلام على أنها حياة تغص فى الملاذ والشهوات، أما مسئولياتهم تجاه دينهم وشعوبهم وأوطانهم فهى هامشية صورية، ما تلبث أن تتهاوى أمام شهوة أو تتلاشى أمام نزوة.

وفى هذا الإطار يأتي قول البعض إننا " إذا تتبعنا تاريخ الدولة العباسية فى هذا الباب ـــ حياة اللهو والملذات ـــ وجدنا أن الدولة كانت تسير خطوات متدرجة إلى هذه الغاية، وأن كل خليفة كان يعلو ـــ غالباً ـــ درجة فى سلم الترف والنعيم عمن قبله، وأننا لو خططنا رسماً بيانياً لاتجه صاعداً باستمرار فى عصر كل خليفة تقريباً، والناس فى كل عصر ـــ وخاصة فى هذه العصور ـــ تبع لإمامهم. [1]

والمجتمع العباسي قد ورث ـــ فى إطار هذا الاتجاه ـــ كل ما كان فى المجتمع الفارسي من أدوات لهو ومجون، وساعد على ذلك ما دفعت إليه الثورة العباسية من حرية مسرفة، فإذا الفرس المنتصرون يمعنون فى مجونهم ويمعن معهم الناس، فقد مضوا يعبون الخمر عبا ويحتسون كئوسها حتى الثمالة، وحاكاهم من عايشوهم حتى أصبح الإدمان عليها ظاهرة عامة على الرغم من نهى القرآن الكريم عنها وحضه على اجتنابها إذ يقول عز شأنه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ - إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [2]، وكان من أسباب انتشارها وإقبال الناس عليها أن أدى اجتهاد بعض فقهاء العراق

(١) أحمد أمين : ضحى الإسلام، ج١ ص١٢١ ـــ ١٢٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م.

(٢) سورة المائدة : الآيتان ٩٠، ٩١.

إلى تحليل بعض الأنبذة كنبيذ التمر والزبيب المطبوخ أدنى طبخ ونبيذ العسل والبر والتين فشرب الخلفاء هذه الأنبذة وشربها الناس. (١)

يصور البعض الآخر حياة الخلفاء العباسيين بأنها حياة قوامها البذخ والإسراف وحب الظهور، وأن قصور الخلفاء والأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة كانت تمتلئ بالمغنين والموسيقيين، كما أن مجالس الخلفاء كانت من آيات الروعة والجمال، وأنهم قد أخذوا نظام مجالسهم هذه عن الفرس، كما كانت مجالسهم تزدان بمظاهر البذخ والروعة والبهاء. (٢)

وقد نقل السيوطي عن الذهبي قوله : كان ــ الهادي ــ يتناول المسكر ويلعب ويركب حماراً فارهاً، ولا يقيم أبهة الخلافة (٣)، وكان للمؤرخين النصارى دوراً بارزاً فى إشاعة هذه الشبهة والمبالغة فى تصورها ومن هؤلاء ابن العبرى الذى لم ينج الكثير من الخلفاء من سهامه المسمومة ومنهم المهدي الذى قال عنه ابن العبرى : إنه كان منهمكاً فى الملاذ واللهو، متشبهاً بالسحر والعرافة والقضاء والقدر، وأنه كان يجمع كتب السحر. (٤)

ويربط بعض المعاصرين تولية المهدي للخلافة بإباحته اللهو والطرب وغلبة شهوة الغناء والطرب على طبقات المجتمع العباسي كافة (٥)، والمهدي ــ فى ضوء هذا الإتجاه ــ كانت سنوات حكمه جسراً بين حياة الجد والجفاف والعمل فى عصر المنصور، وحياة الترف والنعيم فى عصر الرشيد ومن بعده، كما أنه اتهم بالتبذير والإسراف وتضييع أموال الدولة، فقد ذكروا أنه فرق فى

(١) د. شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص ٦٥، دار المعارف ــ مصر ــ ١٩٨٦م.

(٢) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام، ج٢ ص٣٢٩، ٣٣٣، دار الجيل ــ بيروت ــ مكتبة النهضة المصرية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء، ص٢٧٩.

(٤) ابن العبرى : تاريخ الزمان، ص١١، ت إسحق أرملة، دار المشرق، ١٩٨٦م.

(٥) د. مؤيد فاضل : ص ٢٠، عن صلاح عبد الهادي مصطفى : المجتمع العراقي فى العصر العباسي الأول، ص٨٣، ماجستير، آداب الإسكندرية ١٩٧١م.

الناس ١٤ مليون ديناراً و ٦٠٠ مليون درهماً، كان قد خلفها المنصور بعد موته، هذا غير ما جبى من الأموال فى أيامه، وكثرة المال ـــ حسب هذه الرؤية ـــ داعية إلى التـــرف والنعـــيم واللـــهو واللعب، فضلاً عن حبه للقيان والغناء وكثرة العطايا، قل من حضره إلا أغناه، ومع هذا يصور بأنه كان معتلاً فى لهوه وترفه. (١)

وقد تبدو الصورة مخففة وعامة عند بعض الرواة مثل ما جاء فى الدينورى عن الأصـــمعي الذى قال : إن الرشيد كان يحب السمر، ويشتهي أحاديث الناس (٢)، وأحياناً تأخذ الشبهات طوراً أكبر مثلما جاء عند الذهبي إذ قال إن الرشيد له " أخبار شائعة فى اللهو واللـــذات والغنـــاء "، ثم قال:والله يسمح له.(٣)

والمأمون اقترح فى الشطرنج أشياء ـــ كما قال الصولى ـــ وكان يحب اللعب بها، ويكـــره أن يقول : نلعب بها، بل نتناقل بها. (٤)

أما الأمين فقد أمر ببناء ميدان حول قصر أبى جعفر فى المدينة للصوالجة واللعب بعد بيعته بيوم فى ضوء إحدى روايات الطبري (٥)، وهو أيضاً ـــ عند البعض ـــ شاب غر رأي سلطاناً ومالاً، وليس له عقل ناضج فأنفق كل وقته فى إرواء شهوته. (٦)

(١) أحمد أمين : ضحى الإسلام، ج١ ص١٢٥، ١٢٧.

(٢) الدينورى : الأخبار الطوال، ص٣٨٩، تحقيق عبد المنعم عامر، دار الثقافة والإرشاد القـــومي ـــ مـــصر ـــ بدون تاريخ الطبع..

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٨ ص١٨٥، تحقيق محمد البـــدين الغمـــروي، دار الفكـــر ـــ بـــيروت ـــ ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

(٤) السابق : ج٩ ص٤٧.

(٥) تاريخ الطبري : ج٨ ص٣٧٣، تحقيق محمد أبو الفـــضل إبـــراهيم، دار المعـــارف ـــ مـــصر ـــ ١٩٧٧ / ١٩٧٩م.

(٦) أحمد أمين : ضحى الإسلام، ج١ ص١٣٥.

الفصل الأول
وقائع الروايات

الشراب ـــ على ما قصده هؤلاء المغرضون وعينوا نوعه المسكر المحرم ـــ من أعظم ما تلقته ألسنتهم، وقالته أفواههم، وهو أمر ليس لهم به علم، وهو عند الله عظيم، فهو يرمون به قادة الأمة القائمين على أمرها وهم أقرباء نبيها، بأم الخبائب، وكبيرة من أعظم الكبائر ومن أشدها خطراً على الدين والأخلاق، وهم يرومون من وراء ذلك طعن الأمة فى رموزها وقادتها والقائمين على أمرها، وبذلك تبدو صورة هذه الأمة ـــ بدينها وخلقها ورموزها ـــ ماجنة فوضوية، بعيدة عن القدوة ـــ بمنأى عن الأسوة، تضعها ـــ فى هدفهم ـــ فى حالة انفصام تاريخي عن ماضيها.

مع أن الصورة جاءت عند جل المصادر ـــ على الأقل ـــ صغيرة بسيطة ـــ كما سيتبين ـــ فثمة إشارات، لا تتعدى الواحدة أحياناً، عن شراب بعض الخلفاء للنبيذ ـــ المحلل لدى أكبر المذاهب الفقهية تقريباً ـــ مع عدم الثبوت القطعي لهذه الإشارات على قلتها ؛ فالإجماع على أن أبا العباس السفاح والمنصور لم يشربا حتى النبيذ المحلل ولم يسمحا به، والمهدي ـــ فى رواية المسعودي ـــ شرب النبيذ فى خباء أعرابي بعد أن دفع إليه وهو جائع أثناء خروجه للصيد. [1]

أما الهادي، فيعده ابن المعتز من الذين انهمكوا فى الشراب [2]، وروى الطبري عن ابن دأب أنه دخل عليه وهو منبطح على فراشه، وعيناه حمراوان من السهر وشرب الليل، وقد طلب منه أن يحدثه فى الشراب [3] ويصوره البعض ـــ فى إطار هذه الرؤية أيضاً ـــ بأنه كان يشرب النبيذ ويسمع الغناء، وأنه أول من فعل ذلك من خلفاء بنى العباس، على الرغم من قوله عن المهدي ـــ السابق له ـــ إنه كان يسمع الغناء [4] ويذكر آخر أن الهادي أول من أغرى بالخمر، وتبعه

(١) المسعودي : مروج الذهب، ج٣ ص٣٢١، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة ـــ بيروت ـــ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(٢) ابن المعتز : طبقات الشعراء، ص١٣٢، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف ـــ مصر ـــ ١٩٨١م.

(٣) تاريخ الطبرى : ج٨ ص٢٢٣ ـــ ٢٢٤.

(٤) الشيخ محمد الخضري : الدولة العباسية، ص١٠٠، المكتبة التجارية الكبرى ـــ مصر ـــ ١٩٧٠م.

الرشيد ومن جاءوا بعده، وأنهم ـــ على أغلب الظن ـــ لم يتجاوزوا الأنواع المحللة إلى الأنواع المحرمة إلا الأمين. (١)

أما السيوطي فينقل عن الذهبي قوله إن الهادي "كان يتناول المسكر"(٢)، وينقل الذهبي عن ابن حزم قوله عن الرشيد : " أراه كان يشرب النبيذ المختلف فيه، لا الخمر المتفق على حرمتها : قال : ثم جاهر جهاراً قبيحاً " (٣)، ويصور بعض المستشرقين الرشيد بأنه " ملك الليالي فى ألف ليلة وليلة، المتنكر فى صورة أشبه ما تكون بشارلمان على الطريقة الشرقية (٤)، وقد اتهم الرشيد بأنه كان يعاقر الخمر، ويسمع الغناء، ويكثر من الجواري والقيان.

ويرى البعض أنه كان ازدواجي الشخصية ؛ تتجه عواطفه إلى جهات مختلفة فيصل فيها إلى نهايتها (٥) ؛ فهو يجد فيمعن فى الجد، ثم يلهو فيمعن فى اللهو خضوعاً لحدة العاطفة مع الميول المختلفة (٦)، وهذا الازدواج تقليد لرأي صاحب الأغاني الذى قال إن الرشيد من أغزر الناس دموعاً فى وقت الموعظة، وأشدهم عسفاً فى وقت الغضب والغلطة (٧) وتذهب روايات الأغاني إلى أن الرشيد كان يقسم اليوم كاملاً على شهواته وملذاته من الحريم والشراب والغناء، دونما التفات إلى أدنى مسئولية فى مملكته الشاسعة، ومن ذلك ما جاء فى إحداها على لسان الرشيد ؛ إذ قال لإبراهيم الموصلي ـــ المغنى والنديم ـــ " يا إبراهيم إنى قد جعلت غداً للحريم، وجعلت ليلته للشراب مع الرجال، وأنا مقتصر عليك من المغنيين (٨) "، ولا يكاد يخلو موضع من مواضع ذكر

(١) د. شوقي ضيف : العصر العباسي الأول، ص٦٦.

(٢) تاريخ الخلفاء، ص٢٧٩.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج٨ ص١٨٥.

(٤) أندريه ميكيل : الإسلام وحضارته، ص١٣١، ت زينب عبد العزيز، المكتبة العصرية ـــ بيروت ـــ ١٩٨١م.

(٥) أحمد أمين : ضحى الإسلام، ج٢ ص١٣٠.

(٦) السابق : ص١٣٣.

(٧) الأصفهاني : الأغاني، ج٤ ص١٠٥.

(٨) السابق : ج٥ ص٢٢١.

الرشيد فى الأغاني إلا وهو مقترن بشرابه وطربه ومجالس لهوه وسمره. [١]

والأمين ـــ كما جاء فى الأغاني ـــ كان يشرب بشراهة، وعلى الريق، وكان يمتد فى شربه[٢]، ويذكر المسعودي أنه كان أمام الأمين فى مجلس له قدح بلور مخروز فيه شراب مقداره خمسة أرطال. [٣]

ويقول البعض : إن جميع ما وقفنا عليه من أخباره وسيره أنه كان يميل جداً إلى اللهو والغناء والشرب حتى أقعده ذلك عن التدبير لأموره [٤]، بل إنه ـــ وفى صورة أخرى ـــ يميل إلى الإفراط فى ذلك ـــ اللهو والشراب ـــ وكذلك فى الغلمان بشكل لا يسهل إنكاره [٥]، ويذكر البعض الآخر أن الأمين كان يعيش للخمر المسكرة يشربها أرطالاً، وكأنما كان فى قلبه جذوة من الغرام بها لا سبيل إلى إطفائها إلا بشرابها متتابعاً، حتى ليصل أحياناً مساءه فيها بصباحه [٦] بينما الذى ذكره الجهشيارى عن الأمين هو أنه كان يشرب النبيذ. [٧]

أما المأمون فلم يكن بمنأى عن الشراب عند الكثير من الرواة، ومن هؤلاء بعض رواة الطبرى الذين ذكروا شراب المأمون فى عدة روايات، دون النص على نوعية هذا الشراب [٨] إلا أن النص على النوعية جاء فى موضع آخر وهو النبيذ [٩] وجاء أيضاً عند ابن مسكويه أن المأمون دعا بشراب أثناء عرسه ببوران بنت الحسن بن سهل، فأتت بجام ذهب فيه شراب، كما أتى بجام

(١) السابق : ج٥ ص١٥٢، ١٥٥، ١٥٨، ١٩٧، ٢٠٦، ٢١٧، ٣٨٣، ج٦ ص٢٨١ ج١١ ص٢٤٠، ج١٩ ص١٩٨، وغيرها.

(٢) الأصفهاني : الأغاني، ج١٠ ص١١٦.

(٣) مروج الذهب : ج٣ ص٤٠١.

(٤) الخضري : الدولة العباسية، ص١٧٤.

(٥) أحمد أمين : ضحى الإسلام، ج١ ص١٣٤.

(٦) د. شوقي ضيف : العصر العباسي الأول، ص٦٦.

(٧) الوزراء والكتاب : ص ٣٠٠.

(٨) تاريخ الطبري : ج٨ ص٥٧٨، ٦٠٧، ٦٥٦.

(٩) السابق : ج٨ ص٦٦٥.

آخر إلى الحسين بن سهل [1]، وهو في روايات الأغاني يشرب بشراهة لاسيما عندما يطرب، فقد يشرب رطلاً [2] أو أقداحاً [3]، كما كان يعزم ويحلف على جلسائه بالشرب معه، مثلما كان مع الحسن بن سهل، فعندما دخل عليه الحسن ذات مرة قال له المأمون : بحياتي وبحقي عليك يا أبا محمد إلا شربت معي قدحاً، وصب له من نبيذه قدحاً [4]، بل إن الأمر ـ كما جاء في روايات الأغاني ـ قد يمتد إلى السكر والعربدة، فذات مرة، كما جاء في الرواية دخل الشاعر إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي على المأمون وهو يشرب فأمره بالجلوس فجلس، وأمر له بشراب وزاد في الشراب فسكر وعربد [5]، أما الذهبي فيقول : " قلت... كان يشرب نبيذ الكوفة، وقيل : بل يشرب الخمر، فالله أعلم ". [6]

والمعتصم لم يخرج من دائرة الشاربين [7] ـ عندما صاحب الأغاني ـ بل الشاربين الساكرين، فقد روى أنه كان يشرب حتى يسكر [8]، وقد روى الطبرى شراب المعتصم للنبيذ في ثلاثة مواضع [9]، أما ابن العبري فيقول عنه إنه كان منهمكاً في الخلاعة معاقراً الخمرة. [10]

أما آخر خلفاء هذا العصر ـ الأول ـ وهو الواثق، فكان أيضاً يشرب [11] بل يشرب

(١) ابن مسكوية : تجارب الأمم، ج٣ ص٣٩٨، تحقيق سيد كسروى حسن، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.

(٢) الأصفهاني : الأغاني، ج٥ ص٣١٢.

(٣) السابق : ج٥ ص٣٢٠.

(٤) الأصفهاني : الأغاني، ج١٠ ص١٣٩.

(٥) السابق : ج٢٠ ص٢٢٠.

(٦) سير أعلام النبلاء، ج٩ ص٤٦.

(٧) الأصفهاني : السابق، ج٥ ص٣١٣.

(٨) السابق : ج٧ ص١٨٩.

(٩) تاريخ الطبري : ج٩، ص٧٦، ٧٧، ١١٩.

(١٠) تاريخ الزمان : ص٢٨.

(١١) الأصفهاني : الأغاني، ج٤ ص١١٨.

مراراً طرباً لسماعه الغناء، بل قد يصل الأمر إلى السكر ـــ كما يروى صاحب الأغاني ـــ من شدة شربه ؛ فذات مرة صنع الشاعر عبد الله بن العباس الربيعي لحناً وغناء لـــه، فأمر له الواثق بـــ ٣٠ ألف درهماً وقد طرب لهذا الغناء وشرب عليه حتى سكر [١]، ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة الـــتي يعطي فيها الواثق ٣٠ ألف درهماً لشاعر غنى له أو أطربـــه، كما يظهر من روايات الأغاني فكثيراً ما كان يعطي هذا المبلغ بعد أن يطربه الغناء ويشرب عليه [٢]، وقد أشار الطبري إلى اشتهاء الواثق للنبيذ أحياناً، وأحياناً أخرى لا يشتهيه، ويكتفي بالحديث فى ليلتـــه. [٣]

(١) الأصفهاني : الأغاني، ج١٩ ص١٩٢.

(٢) السابق : ج٥ ص٣٨١.

(٣) تاريخ الطبري : ج٩ ص٢٥٩.

الفصل الثاني

دحض هذه الشبهة

يمكن تناول هذه الشبهة ودحضها من خلال عدة محاور رئيسية.

أولاً : تفنيد هذه الشبهة عند المؤرخين :

أبو العباس السفاح : أما أبو العباس فلم يرد لدى المؤرخين الثقات ــ ولا غيرهم تقريباً ــ شئ عن شرابه ــ نبيذاً أو غيره ــ ولا عن مجونه أو لهوه أو ما شابه ذلك من منقصة للخلق أو سفاهة فى السلوك [1]، بل إنه لم يسمح لأحد فى عهده بأن يشرب، وكان لا يعلم بشئ من هذا إلا عقاب فاعله، وكان ولاته وأصحاب شرطه ينفذون ذلك، ومن ذلك ما رواه ابن قتيبة من أن الشاعر إبراهيم ابن هرمة كان مولعاً بالشراب، فأخذه صاحب شرط المدينة ــ واسمه خثيم بن عراك ــ لزياد بن عبيد الله الحارثي فى ولاية أبي العباس، فجلده الحد. [2]

كذلك لم نجد المؤرخين النصارى من أمثال ابن العبرى [3] وسعيد بن البطريق [4] وابن

(١) خليفة : تاريخ خليفة، ص٢٦٨، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ابن قتيبة : المعارف، ص٣٧٢ ــ ٣٧٣، تحقيق د. ثروت عكاشة، ط٤، دار المعارف ١٩٨١م، الدينورى : الأخبار الطوال، ص ٣٧٠ فما بعد، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٣٥٨ فما بعد، دار صادر، بيروت، بدون سنة الطبع. ابن طاهر المقدسي : البدء والتاريخ، ج٦ ص٨٩، باريس، ١٨٩٩م. المسعودي : مروج الذهب، ج٣ ص٢٦٦ فما بعد. الطبري : تاريخ الطبري، ج٧، ص٤٢١ ــ ٤٧١. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٦ ص٣١٠ فما بعد. السيوطي : تاريخ الخلفاء، ص٢٥٦ ــ ٢٥٩. البغدادي : تاريخ بغداد، ج١٠ ص٤٦ فما بعد، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ بدون تاريخ الطبع.

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء، ج٢ ص٧٥٣، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف ــ مصر ــ ١٩٨٢م.

(٣) تاريخ الزمان : ص ٧ ــ ٨.

(٤) ابن البطريق : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق : ص٤٨، بيروت ــ ١٩٠٩م.

الراهب [1] يذكر شيئاً عن هذه الأمور مما يخص الشراب أو اللهو أو ما شاكلهما وقد كان أبو العباس كما يذكر وقوراً خلوقاً فى مجالساته ومسامراته، ومما رواه المسعودي عنه أنه قال : إنما العجب ممن يترك أن يزداد علماً، ويختار أن يزداد جهلاً، فقال له أبو بكر الهذلي : ما تأويل هذا الكلام يا أمير المؤمنين ! قال : يترك مجالسة مثلك وأمثال أصحابك، ويدخل إلى امرأة أو جارية فلا يزال يسمع سخفاً، ويروى نقصاً، فقال له الهذلي : لذلك فضلكم الله على العالمين، وجعل منكم خاتم النبيين. [2]

ولا يمكننا فصل حياة أبي العباس الخاصة والعامة أيضاً عن أخلاقه ومبادئه التى مثلت إطاراً لتلك الحياة، فقد كان أبو العباس ـــ كما وصفه المؤرخون ـــ وقوراً، عاقلاً، كثير الحياة، حسن الأخلاق كاملاً، كريماً، حليماً، جواداً... إلخ. [3]

المنصور : وما ذكر عن أبي العباس ينسحب على المنصور، من خلو الروايات والمصادر الموثوقة، وحتى غيرها، من شرب المنصور أو لهوه أو ما شابهه، بل إن تلك المصادر نصت على أنه كان تاركاً للهو واللعب [4]، وأنه كان لا يحب الشراب، ولا يشرب على مائدته، وأنه لما قدم الطبيب بختيشوع عليه أمر المنصور بطعام يتغذى به فلما وضعت المائدة بين يديه طلب شراباً فقيل له : لا يشرب على مائدة أمير المؤمنين فقال : لا آكل طعاماً ليس معه شراب، فأخبر المنصور بذلك، فقال : دعوه [5] وعندما حاول كتابه أن يحتالوا عليه عن طريق طبيبه ليشغلوه بالنبيذ فشلوا

(١) ابن الراهب : تاريخ ابن الراهب، ص ٦٠ ـــ ٦١، بيروت.

(٢) مروج الذهب : ج٣ ص٢٧٨.

(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٣٦١. ابن طباطبا : الفخري، ص١٥١، دار صادر بيروت، بدون تاريخ الطبع .

(٤) خليفة : تاريخ خليفة، ص٢٨٢. الدينوري : الأخبار الطوال، ص٣٧٨ فما بعد.= = الطبري : تاريخ الطبري، ج٧ ص٤٧٢ فما بعد، ج٨ ص٧ فما بعد. ابن مسكوية : تجارب الأمم، ج٣ ص١٤٠ فما بعد. البغدادي : تاريخ بغداد، ج١٠ ص٥٤ فما بعد. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٧ ص٦٧ فما بعد.

(٥) الطبري : السابق، ج٨ ص٨٧.

فى ذلك، فقد روى أنه عندما ثقل على كتاب المنصور تفقده للأعمال ومراعاته لها فقالوا لمتطببه : لو زينت له شرب النبيذ حتى يتشاغل عنا، لأعظمت المنة عندنا، فوعدهم بذلك، ولم يزل يقول له فى الوقت بعد الوقت، لو سخنت يا أمير المؤمنين معدتك لأصلحت جسمك، و نفذ طعامك، فيقول : بماذا ؟ فيقول : بشراب العسل، فلما ألح عليه بذلك استدعى شيئاً منه فشربه فى اليوم الأول، فاستطابه، فعاد له فى اليوم الثاني، وازداد منه، فخدره ثم عاوده فى اليوم الثالث، فأبطأ عن صلاة الظهر والعصر والعشاء "المغرب"، فلما كان من غد دعا بما عنده من الشراب فهراقه، ثم قال : ما ينبغي أن يشرب شيئاً يشغله [1]، وكان المنصور يحاسب ويعاقب الشاربين أو السكارى ومن ذلك محاسبته لأبي دلامة عندما أتى به وهو سكران [2]، وعندما طلب منه إبراهيم بن هرمة أن يبيح له الشراب، وألا يحد فى السكر، قال له المنصور : ويحك ! هذا حد من حدود الله. [3]

المهدي : أما المهدي فقد أشار المسعودي مرة واحدة إلى شربه النبيذ فى الظروف التى ذكرت فى عرض الحالات، أما غيره من المؤرخين فلم يذكر شيئاً عن شربه أو مجونه أو سماعه للغناء... إلخ، ومن هؤلاء ابن قتيبة [4]، والدينورى [5]، اليعقوبي [6]، خليفة [7]، الأزدي [8]، الطبري [9]، ابن مسكوية[1]، السيوطي [2]، وغيرهم.

(١) الجهشياري : الوزراء والكتاب، ص١٣٩، ١٤٠، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ـ الهيئة العامة لقصور الثقافة ـ مصر ـ ٢٠٠٤م.

(٢) الأصفهاني : الأغاني، ج١٠ ص٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء، ج٢ ص٧٥٣ ـ ٧٥٤. الأصفهاني : الأغاني، ج٥ ص٣٧٦.

(٤) المعارف : ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠.

(٥) الأخبار الطوال : ص٣٨٦.

(٦) تاريخ اليعقوبي : ج٢ ص٣٩٢ ـ ٤٠٣.

(٧) تاريخ خليفة : ص٢٩٠.

(٨) الأزدي : تاريخ الموصل : ص٢٣٢ فما بعد، تحقيق د. علي حبيبة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ مصر ـ ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

(٩) تاريخ الطبري : ج٨ ص١١٠ ـ ١٨٦.

غير أن ابن العبري يذكر أن المهدي فتح خزائن الدولة وجعل يسرف ثروة أبيه إسراف المذارة لا على جنوده فحسب بل على سراريه أيضاً ؛ إذ كان منهمكاً فى الملاذ واللهو، وتشبث بالسحر والعرافة والقضاء والقدر، وجعل يجمع كتب السحر [٣] ويذكر البعض ــ بلفظ قيل ــ " إنه كان لا يشرب النبيذ، وإن كان سماره يشربون فى مجلسه " وكان محباً للسماع. [٤]

وقد اتفق صاحب الأغاني والطبري على أنه لم يكن يشرب النبيذ [٥]، وهو ما أكده الجهشياري أيضاً ؛ إذ قال : كان المهدي لا يشرب النبيذ لا تحرجاً، ولكنه كان لا يشتهيه، وكان أصحابه عمر بن بزيغ والمعلي مولاه ومواليه يشربون عنده، بحيث يراهم، قال يعقوب بن داود (وزيره) : وكنت أعظه فى سقيهم النبيذ، وفى السماع. [٦]

وكان المهدي يحاسب ويعاقب من يسكر، ولا يتهاون فى ذلك أبداً ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن المعتز عن شراب شاعرين حتى السكر، وما كان من أمرهما مع المهدي، وصاحبا هذه الواقعة هما الشاعران : حماد عجرد وأبو دلامة، فقد شربا حتى سكرا فطلبوهما فأما أبو دلامة فهرب، وأما حماد فأخذ وأتى به المهدي، فقال : استنكهوه، ففعلوا فشموا منه رائحة الخمر، فأحب أن يعبث به، فقال : يا عدو الله أتشرب الخمر وتسكر ؟ إنني سأقم عليك الحد ولا تأخذني فى الله لومة لائم، وقال : احبسوه حتى يصحو، فمضى به إلى بيت فيه دجاج بعد أن وجئ عنقه ومزق رداؤه، فكتب إلى المهدي :

أمير المؤمنين فدتك نفسي ∴ علام حبستني وخرقت ساجي

أقاذ إلى السجون بغير ذنب ∴ كأني بعض عمال الخراج

(١) تجارب الأمم : ج٣ ص١٤٦ ــ ١٧٧.

(٢) تاريخ الخلفاء : ص٢٧١ فما بعد.

(٣) تاريخ الزمان : ص١١.

(٤) أحمد فريد الرفاعي : عصر المأمون، ج١ ص١٠٥، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م.

(٥) أحمد أمين : ضحى الإسلام، ج١ ص١٢٦ ــ ١٢٧.

(٦) الوزراء والكتاب، ص١٦٠ ــ ١٦١.

ولو معهم حبست لهان وجدي ∴ ولكني حبست مع الدجاج

أمن صهباء ريح المسك منها ∴ ترقرق فى الإناء لدى المزاج

عقار مثل عين الديك صرف ∴ كأن شعاعها لهب السراج

وقد طبخت بنار الله حتى ∴ لقد كانت من النطف النضاج

وقد كانت تحدثني ظنوني ∴ بأني من عقابك غير ناج

على أنى وإن لاقيت شراً ∴ لخيرك بعد ذاك الشر راج

فأخرجه ووصله، فلما ولى قال الربيع : أما فهمت قوله :

وقد طبخت بنار الله حتى ∴ لقد صارت من النطف النضاج

قال : بلى، فما أراد ؟ قال : إنما أراد الشمس، قال المهدي : ردوه، فردوه، فقال : ما أردت بقولك : وقد طبخت بنار الله... تعني بها الشمس ؟ قال: لا، ولكن نار الله الموقدة، التى تطلع على الأفئدة، وهي على الربيع مؤصدة، فضحك منه وأمر بإطلاقه. (١)

الهادي : لم يرو لنا المؤرخون الثقات أو جلهم على الأقل، ممن يعتمد عليهم فى القول أو الرواية من خلال طرقهم الموثوقة، شيئاً عن شراب الهادي خمراً أو حتى نبيذاً إلا إشارات خفيفة فى الحالة الأخيرة ــ النبيذ ــ ومن هؤلاء المؤرخين ابن قتيبة (٢)، والدينوري (٣)، وابن مسكوية (٤)،

(١) طبقات الشعراء، ص٧١ ــ ٧٢.

(٢) المعارف : ص٣٨٠ ــ ٣٨١.

(٣) الأخبار الطوال : ص٣٨٦.

(٤) تجارب الأمم : ج٣ ص١٧٨ ــ ١٩٢.

والطبري [1]، وغيرهم، بل إن المؤرخين النصارى من أمثال ابن العبرى [2]، وسعيد بن البطريق [3]، وابن الراهب [4]، لم يذكروا أيضاً شيئاً عن شراب المهدي ـ حتى النبيذ ـ أو لهوه أو ما شابه ذلك.

بل إننا نجد الهادي كسائر سابقيه من الخلفاء يحاسب من يتهم بشرب المسكر أو الخمر ويعاقب من يثبت عليه هذا الأمر، ومن ذلك محاسبته لأحد الشعراء ـ ويسمى عكاشة ـ وعزمه على حده حد الخمر، وذلك لأنه أنشده شعراً بين ظاهره معرفته الدقيقة بالخمر معرفة المتعامل معها الشارب لها، كما رأى الهادي حتى أثبت له الشاعر غير ذلك [5] وما جاء من شبهات حول شرب الهادي للخمر بل حتى النبيذ تقريباً أمر مردود يتنافى تماماً مع واقع هذا الخليفة وحياته وسيرته، وأقوال المؤرخين عنه ومن ذلك :

١ـ ما سبق تقريره من قبل المؤرخين المسلمين والنصارى فى هذا الشأن.

٢ـ محاسبته لمن يشرب مسكراً كما جاء مثل ذلك فى رواية الأغاني.

٣ـ ما ذكره المؤرخين من أنه كان يأمر شرطه بضرب ندماء المهدي ومغنيه وحبسهم صيانة له عنهم، وهؤلاء هم إطار الشراب الطبيعي، والأخلاق هنا لا تتجزأ لدى الإنسان الواحد، خليفة أو غيره.

٤ـ كان أكثر جلسات المهدي فيما يقابل المسامرات أو المنادمات، إن لم يكن جميعها تقريباً مع عيسى به دأب وهو أكثر أهل عصره أدباً وعلماً ومعرفة بأيام الناس، وكان يجله فى مجلسه

(١) تاريخ الطبري : ج٨ ص١٨٧ فما بعد.

(٢) تاريخ الزمان : ص١٣.

(٣) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق : ص٥٠ ـ ٥١.

(٤) تاريخ ابن الراهب : ص٦١.

(٥) الأصفهاني : الأغاني، ج٣ ص٢٥٩.

فيجعل له متكنا، ويقول له ما استطلت بك يوماً ولا ليلة، ولا غبت عني إلا ظننت أني لا أرى غيرك، وهو أمر يجعل المرء يضع هذا الخليفة فى مصاف الجادين الحازمين العاشقين للعلم والمعرفة والأخلاق المكرمين لأهلهم، لا العابثين بالأخلاق عن طريق الشرب أو غيره، أو اللاهين بالحياة لهواً ولعباً.

٥ــ وهو ما يؤكده سابقه، صفات الهادي ــ فكراً وسلوكاً ــ بما قرره وأكده المؤرخون وأثبته واقعه، فقد كان الهادي غيوراً كريماً شهماً، كثير الأدب محباً له، شديداً شجاعاً جواداً سخياً[1]، ولا يمكن أن تنطبق هذه الصفات على شارب الخمر، فضلاً عن كونه خليفة للمسلمين والمسئول على حملهم وتوجيههم إلى ما يدعو إلى مكارم الأخلاق والفضيلة، من فرائض الدين وواجباته ونوافله، وكذلك تركهم لما يناقض ذلك.

٦ــ بالإضافة إلى ما سبق، فإن هذا الخليفة كان يروى أحاديث رسول الله ــ ﷺ ــ كما ذكر السيوطي، مورداً بعضها [2]، فكيف يصور هذا الراوي الخليفة راوى أحاديث النبى ــ ص ــ وهو يرتكب أم الخبائث وواحدة من أكبر الكبائر، أو حتى الاقتراب منها.

الرشيد : أما الرشيد فهو أعظم الخلفاء العباسيين على الإطلاق أعمالاً وأقوالاً ــ فكراً وسلوكاً ــ بلغ من التدين والتقوى درجة لم يدانه فيها أحد بل فى جل الملوك والسلاطين على مَدى التاريخ ــ تقريباً ــ حتى إنه كان يلبس درعاً كتب على أحد وجهيه غاز وعلى الآخر حاج، فهو دائماً فى إحدى هاتين الصورتين، وهو الذى يصلى مائة ركعة فى اليوم، وينفق ألف درهم من ماله الخاص كل يوم إلى غير ذلك ــ كما سيتبين ــ ومن ثم أضحى مركز الشبهات المختلفة ومحورها من جانب المغرضين لاسيما المحدثين من الذين لا يتعاملون إلا مع الأخبار الواهية التى لا تستند إلى مصدر ولا يقوم بها دليل ولا تدعمها حجة.

ومن المؤخرين الكثيرين الذين لم يذكروا شيئاً عن تلك التى حاول أصحابها ــ قدامى

(١) المسعودي : المروج، ج٣ ص٣٣٥. ابن طباطبا : الفخرى، ص١٨٩.

(٢) تاريخ الخلفاء، [ترجمة الهادى].

ومحدثون ــ إلحاقها بهذا الخليفة الفذ فكراً وسلوكاً.

الطبري [1] وهو مصدر جل الأخبار والروايات عن الرشيد وغيره طوال الثلاثة قرون الأولى من الهجرة، باستثناء ما جاء على لسان طبيب الرشيد النصراني جبريل بن بختيشوع، من أنه كان أول من يدخل عليه فى كل غداه، فيتعرف حاله فى ليلته، فيحدثه الرشيد بحديث جواريه وما عمل فى مجلسه ومقدار شربه، وساعات جلوسه. [2]

ومن هؤلاء المؤرخين أيضاً البغدادي [3]، وابن طباطبا [4]،والسيوطي [5] وغيرهم، وكذلك مؤرخون نصارى منهم ابن العبرى [6]، وكل ما ذكره ابن العبرى فى إطار الشرب والخطايا واللهو وما شابه ذلك، هو معالجته لإحدى جواري الرشيد، وكذلك سعيد بن البطريق لم يذكر شيئاً مما سبق [7]، وابن الراهب [8]، ورواية الطبري كما يكشفها سياقها ومضمونها واهية ساذجة لا يقبلها عقل يعرف أدنى شئ عن الرشيد، فهو أولاً يقضي كل ليله فى الشراب والسمر مع الجواري وغيرهم، وتحدث بكل تفاصيل ذلك لطبيبه النصراني، الذى أتهم ــ فى بعض الروايات بموته ــ فهل يعقل أن خليفة للمسلمين فى حجم الرشيد، يقضي جميع لياليه فى اللهو والمجون والشرب، وهل لديه من الفراغ ما يسمح له بذلك، وهل يمكن أن يعترى الرشيد من قلة الدين وغياب الضمير وبلادة الحس ما يخول له ذلك ؟، إن أخبار الرشيد ووقائعه عن التدين وصوره المختلفة تجعل مثل هذه الشبهات الواهية أبعد ما تكون عن هذا الخليفة الجاد الحاد فى دينه وخلقه.

(١) تاريخ الطبري : ج٨ ص٢٣٠ فما بعد.

(٢) السابق : ج٨ ص٣٤٢.

(٣) تاريخ بغداد : ج١٤ ص٥ ــ ١٣.

(٤) الفخرى : ص١٩٣ فما بعد.

(٥) تاريخ الخلفاء : ص٢٨٣ ــ ٢٩٧.

(٦) تاريخ الزمان : ص١٣ ــ ١٩.

(٧) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق : ص٥١ ــ ٥٣.

(٨) تاريخ ابن الراهب : ص٦٢ ــ ٦٣.

إن ثمة رواية يتضمنها الأغاني، الذى يعد المصدر الأساسي لمثل هذه الشبهات تفيد أن النبيذ كان يقع من الرشيد موقعاً متحرجاً ربما إلى الامتناع عنه ومنع الآخرين أقرب إلى الواقع إلا النادر القليل وهذه الرواية تذكر أن ابن جامع سأل الرشيد أن يأذن له بنوع من اللعب، وأن لا يحد فى النبيذ، فأذن له وكتب له بذلك كتابا إلى العثماني ــ عامل مكة ــ فقال له العثماني : كذبت ! أمير المؤمنين لا يحل ما حرم الله، وتوعده إن رآه على حال كهذه ليؤدبنه. (١)

فدلالات الرواية تبين :

١ــ أن الرشيد كان يمنع شرب النبيذ ويحد عليه، وأن الأمر كان قد استقر فى الواقع أنه محرم بدليل قول العثماني : أمير المؤمنين لا يحل ما حرم الله، وطعن فى الكتاب بالتزوير.

٢ــ إن إذن الرشيد لابن جامع فى النبيذ ــ إن صح هذا الإذن ــ ينصرف إلى النوع الذى أذن الفقهاء ــ لاسيما الأحناف ــ فى شربه والذى قيل إن الرشيد نفسه كان يشربه أحياناً، أو قد يكون الرشيد يحرم النبيذ عموماً بجميع أنواعه اعتماداً على قاعدة سد الذرائع، ولا يأذن به إلا فى أضيق الحدود مع نفسه ومع غيره مع تحليل الأحناف له، ولعل هذه الحدود الضيقة التى شرب فيها الرشيد النبيذ، تلك التى نجدها عند الجاحظ إذ يقول : " كان الرشيد يشرب فى كل جمعة مرتين وربما قدم أيامه وأخرها، على أنه لم يره أحد قط يشرب ظاهراً، إلا أنه كان يعقد هذين اليومين لندمائه "، وفى موضع آخر يقول : " وكان الرشيد فى أخلاق أبى جعفر المنصور، يمتثلها كلها إلا فى العطايا والصلات والخلع ؛ فإنه كان يقفو فعل أبى العباس والمهدي، ومن خبرك أنه رآه وهو يشرب إلا الماء فكذبه، وكان لا يحضر شربه إلا خاص جواريه " (٢)، فهو يشرب مرتين فى الأسبوع شراباً محللاً حسب مذهب من أكبر المذاهب الفقهية إن لم يكن أكبرها وأهمها، فضلاً عن فوائد هذا الشراب كما سيأتي عند الجاحظ أيضاً، كذلك لا يشرب إلا فى " خاص جواريه " أى مع ملك يمينه.

(١) الأصفهاني : الأغاني، ج٦ ص٢٨٧.

(٢) الجاحظ : التاج فى أخلاق الملوك، ص٣٥. تحقيق أحمد زكي باشا ــ القاهرة ــ ١٩١٤م

ومن ثم فإن هذا الشراب لا حرمة فيه، وكذلك هذا المجلس، بل لا حرج فيهما، فكيف نضع هذه الشبهات فى سيرته ؟... وأين ؟ تلك التى تحدث فيها المؤرخون وفاضوا وأجادوا ؛ فهو الرجل العالم الذى يرحل بولدين لطلب العلم، وأى علم.. حديث رسول الله ﷺ ممثلاً فى الموطأ ليسمعه على مالك إمام المذهب الفقهي الكبير وفقيه مدينة رسول الله ﷺ بل فقيه الحجاز كله وكان أصل الموطأ بسماع الرشيد فى خزانة المصريين [١]، بل إنه إجلالاً للعلم كان ــ وهو خليفة ــ يصب الماء على يد رجل كفيف لأنه يحمل العلم [٢]، وهو أيضاً يروى حديث رسول الله ﷺ [٣]، وهو الذى كان يحج عاماً ويغزو عاماً وإذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم علي نفقته، وإذا لم يحج أمر أن يحج فى كل سنة ٣٠٠ رجلاً بالنفقة السابغة والسكوة الظاهرة [٤]، حتى إنه كان يلبس دراعة قد كتب من خلفها حاج، ومن أمامها غاز [٥]، وهو الذى اعتمر فى رمضان [١٧٩هـ] واستمر فى إحرامه إلى أن حج ماشياً من بطن مكة. [٦]

والرشيد هو الذى كان يصلى مائة ركعة كل يوم إلى أن فارق الدنيا، إلا لسبب عارض له[٧]، وهو الذى كان يتصدق بألف درهم كل يوم من صلب ماله[٨]، وهو الذى كان يبكي عندما يعظه واعظ حتى يشهق وينتحب ويشفق عليه من حوله. [٩]

ومما يروى عن تدين الرشيد أن ابن أبي مريم المدني، وكان مضحاكاً له محداثاً فقيهاً، وكان الرشيد لا يصبر عنه ولا يمل محادثته، أضحك الرشيد ذات مرة أثناء صلاة الصبح عندما وصل

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء، ص٢٩٤.

(٢) البغدادي : تاريخ بغداد، ج١٤ ص٨.

(٣) السيوطي : السابق، ص٢٩٧.

(٤) البغدادي : السابق، ج١٤ ص٦.

(٥) الجهشياري : الوزراء والكتاب، ص٢٠٦.

(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٨ ص١٨٦.

(٧) البغدادي : تاريخ بغداد، ج١٤ ص٦، و ابن طباطبا : الفخرى، ص١٩٣.

(٨) البغدادي : السابق، ج١٤ ص٦ ــ ٧.

(٩) السابق : ج١٤ ص ٧ ــ ٨، و ابن مسكوية : تجارب الأمم، ج٣ ص٢٦٩ ــ ٨.

الرشيد إلى قولـــه تعالى : (ومالي لا أعبد الذى فطرني) فقال ابن مريم : لا أدري والله، فحـــذره الرشيد ـــ بعد أن ضحك ـــ قائلاً : إياك والقرآن والدين، ولك ما شئت بعدهما. (١)

وإن كان ثمة مجالس له فيها مسامرات أو أحاديث، فكلها كانت فيما لا حرج فيه، بل قد تكون من مهام أموره كخليفة للمسلمين أو لقائد لأمة ليس لها نظير فى عصره، ينبغي أن يـــستزيد من إثقال الفكر واتساع الإدراك وزيادة العلم وسماع الأدب، على ما هو عليه من هذه الأمـــور، وقد كان الأصمعي وهو واحد من أبرز أدباء عصره ـــ إن لم يكن أبرزهم جميعاً ـــ ونبغاء زمانـــه، وكان جليسه الدائم، فكان الرشيد ـــ كما يقول الأصمعي ـــ إذا نشط لذلك وجن عليه الليـــل يرسل إلى فأسامره، وإذا بمسامره من هذه المسامرات ـــ وهي فى حقيقتها مناظرة كما تقول الرواية ـــ تمتد حتى الصباح، وهي تبحث فى أمر واحد وهو من أهم أمور المسلمين... من يتولى أمر الأمة بعد الرشيد. (٢)

مثل هذه المناظرات والمحاورات هي التى صورها رزاز الأدباء وفضلاؤهم والمغرضون منـــهم ومن المؤرخين على أنها مسامرات ليلية تغص فى ترف المظهر، ورداءة الأخلاق، وبراثن الـــشهوات، ودنائة الشهوات ولواحد من أهم المحققين من المؤرخين ، رد لهذا الرماد الذى حاول المتطفلون على التاريخ نثره على أبرز الخلفاء العباسيين على الإطلاق، ووأحد من أهم وأشهر خلفاء الإسلام على العموم، يبدو أن ثمة ضرورة لا يراد نصه.

" وأما ما تموه له الحكاية من معاقرة الرشيد الخمر واقتران سكره بسكر الندمان، فحاشى لله ما علمنا عليه من سوء، وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة مـــن الـــدين والعدالـــة، وما كان عليه من صحابة العلماء والأولياء، ومحاورته للفضيل بن عياض وابن السماك والعمرى، ومكاتبته سفيان الثوري، وبكائه من مواعظهم، ودعائه بمكة فى طوافه وما كان عليه من العبادة والمحافظة على أوقات الصلوات وشهود الصبح لأول وقتها... وقد كانت حالة الأشـــراف من العرب الجاهلية فى اجتناب الخمر معلومة، ولم يكن الكرم شجرتهم وكان شربها مذمة عند الكثير

(١) تاريخ الطبري : ج٨ ص٣٤٩.

(٢) الدنيوري : الأخبار الطوال، ص٣٨٩ ـــ ٣٩٠.

منهم، والرشيد وآباؤه كانوا على ثبج من اجتناب المذمومات فى دينهم ودنياهم، والتخلق بالمحامد وأوصاف الكمال ونزعات العرب، وانظر ما نقله الطبري والمسعودي فى قصة جبريل بن بختيشوع الطبيب حين أحضر له السمك على مائدته فحماه عنه ثم أمر صاحب المائدة إلى منزله، وفطن الرشيد وارتاب به ودس خدامه حتى عاينه فأعد ابن بختيشوع للاعتذار ثلاث قطع من السمك فى ثلاثة أقداح خلط إحداها باللحم المعالج بالتوابل والبقول والبوارد والحلوى، وصب على الثانية ماءً مثلجاً، وعلى الثالثة خمراً صرفاً، وقال فى الأول والثاني هذا طعام أمير المؤمنين إن خلط السمك لغيره أو لم يخلطه، وقال فى الثالث هذا طعام ابن بختيشوع ودفعها إلى صاحب المائدة حتى إذا انتبه الرشيد وأحضره للتوبيخ أحضر ثلاثة الأقداح، فوجد صاحب الخمر قد اختلط وأماع، وتفتت ووجد الأخرين قد فسدوا وتغيرت رائحتهما فكان له فى ذلك معذرة، وتبين من ذلك أن حال الرشيد فى اجتناب الخمر كانت معروفة عند بطانته وآل مائدته، ولقد ثبت عنه أنه عهد بحبس أبي نواس لما بلغه من انهماكه فى المعاقرة حتى تاب وأقلع، وإنما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب أهل العراق وفتاويهم فيها معروفة، وأما الخمر الصرف فلا سبيل إلى إقامه بها ولا تفييد الأخبار الواهية فيها ؛ فلم يكن الرجل بحيث يواقع محرماً من أكبر الكبائر عند أهل الملة، وقد كان أولئك القوم كلهم بمنجاة من ارتكاب السرف والترف فى ملابسهم وزينتهم وسائر متناولاتهم لما كانوا عليه من خشونة البداوة وسذاجة الدين التى لم يفارقها بعد، فما ظنك بما يخرج عن الإباحة إلى الحظر وعن الحلة إلى الحرمة، ولقد اتفق المؤرخون : الطبري والمسعودي وغيرهم على أن جميع من سلف من خلفاء بنى أمية وبنى العباس إنما كانوا يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة فى المناطق والسيوف واللجم والسروج، وأن أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب هو المعتز ابن المتوكل ثامن الخلفاء بعد الرشيد، وهكذا كان حالهم أيضاً فى ملابسهم فما ظنك بمشاربهم ". [1]

الأمين : أما الأمين ففي غير ما ذكر من روايات الأغاني، وإشارة الجهشياري والمسعودي، خلت ــ تقريباً ــ أخباره وسيرته لدى المؤرخين والكتاب القدامى ــ وهم المعول

(١) المقدمة، ص ١٩ــ ٢١، دار الجيل ــ بيروت ــ بدون تاريخ الطبع.

عليهم ـــ مما يتصل بالانحرافات من شراب أو مجون أو غير ذلك، ومن هؤلاء المؤرخين : خليفة بن خياط [١]، وابن قتيبة[٢]، والدينورى [٣]، والطبري [٤]، والجهشياري [٥]، والسيوطي [٦]، كذلك لم يذكر المؤرخون النصارى مثل ابن العبرى [٧]، وابن البطريق [٨]، وابن الراهب [٩]، شيئاً عن ما يشوب أخلاق الأمين أو سيرته من شراب ـــ خمر أو نبيذ ـــ أو مجون أو لهو أو ما شابه ذلك، بل إن الأمين لم يكن ليسمح بذلك لاسيما شرب الخمر، ومن أمثلة ذلك موقفه مع أبي نواس حيث أثير عنه أن شرب الخمر فحبسه الفضل بن الربيع، وأتى به إلى الأمين، فدعا الأمين بسيف وهدده بالقتل فاستعفاه أبو نواس، وشرط له إن شربها فدمه حلال له. [١٠]

المأمون : كذلك خلت أخبار المأمون ـــ ذاك الخليفة العالم ـــ وسيرته لدى الكثير من المؤرخين الثقات من شرابه أو مجونه، ومن هؤلاء : الدينورى[١١]، والطبرى [١٢]، وابن قتيبة [١٣]، والمسعودي [١٤]، وابن طاهر المقدسي [١]، والخطيب البغدادي [٢]، وابن طباطبا [٣]، والسيوطي [٤]

(١) تاريخ خليفة : ص٣٦٠.
(٢) المعارف : ص ٣٨٤ ـــ ٣٨٦.
(٣) الأخبار الطوال : ص٣٩٢ فما بعد.
(٤) تاريخ الطبري : ج٨ ص٣٦٤ فما بعد.
(٥) الوزراء والكتاب : ص٢٨٩ ـــ ٣٠٣.
(٦) تاريخ الخلفاء : ص٢٩٧ فما بعد.
(٧) تاريخ الزمان : ص١٩ ـــ ٢١.
(٨) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق : ص٥٣ ـــ ٥٤.
(٩) تاريخ ابن الراهب : ص٦٣.
(١٠) الطبري : السابق، ج٨ ص٥١٦.
(١١) الأخبار الطوال : ص٤٠٠ ـــ ٤٠١.
(١٢) تاريخ الطبرى : ج٨ ص٥٢٧ فما بعد.
(١٣) المعارف : ص٣٨٧ ـــ ٣٩١.
(١٤) مروج الذهب : ج٤ ص٤ فما بعد.

[٤] وغيرهم أيضاً، ومن المؤرخين النصارى ابن العبرى [٥]، وابن البطريق [٦]، وابن الراهب [٧].

وليس من اليسير أن يسكت هؤلاء جميعاً على أهميتهم التاريخية وإخبارهم التفصيلية ـــ فى جلهم ـــ على مثل هذه الأمور بالنسبة للخليفة الذى يعني هؤلاء المؤرخون وغيرهم بأدق تفاصيل حياته.

المعتصم : أما المعتصم فلم ترد أخبار عن شربه لدى المؤرخين ـــ تقريباً ـــ باستثناء بعض الروايات القليلة عند الطبرى وهي ثلاث فقط تذكر شربه للنبيذ ـــ كما تقدم ذكره ـــ إلا أن الأغاني يصوره مع الشاربين الساكرين، بينما يتهمه ابن العبرى بمعاقرة الخمر صراحة، وابن العبرى مؤرخ نصراني عاش فى القرن السابع الهجري أى يفصله عن المعتصم قرابة أربعة قرون، وهو لم يعين مصدره فى هذا الاتهام، فضلاً عن بعد الخلفاء عموماً عن هذا الجرم الكبير، كما دلت عليه سيرتهم وشهادة المؤرخين المعاصرين الثقاة ومن تلاهم، والمعتصم واحد من هؤلاء الخلفاء الذين خلت سيرتهم عند جل المؤرخين ـــ على الأقل ـــ من الشراب حتى النبيذ، فضلاً عن خلو المصادر التاريخية الموثوقة والمعتمدة تماماً من شربه للخمر أو اقترابه منها، ومن هذه المصادر خليفة بن خياط[٨]، واليعقوبي [٩]، وابن قتيبة [١٠]، والدنيورى [١١]، والمسعودي [١٢]، والطبري [١٣]، والذهبي

(١) البدء والتاريخ : ج٦ ص١١٢ ـــ ١١٣.
(٢) تاريخ بغداد : ج١٠ ص١٨٣ ـــ ١٩٢.
(٣) الفخري : ص٢١٦ فما بعد.
(٤) تاريخ الخلفاء : ص٣٠٦ فما بعد.
(٥) تاريخ الزمان : ص٢٢ ـــ ٢٨.
(٦) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق : ص٥٤ ـــ ٥٩.
(٧) تاريخ ابن الراهب : ص٦٣ ـــ ٦٤.
(٨) تاريخ خليفة : ص٣١٥ ـــ ٣١٧.
(٩) تاريخ اليعقوبي : ج٢ ص.
(١٠) المعارف : ص٢٩٢.
(١١) الأخبار الطوال : ص٤٠١ ـــ ٤٠٦.
(١٢) مروج الذهب : ج٤ ص٤٧ فما بعد.
(١٣) تاريخ الطبري : ج٨ ص٦٦٧ فما بعد، ج٩ ص٧ فما بعد.

(١)، والسيوطي (٢) وغيرهم أيضاً.

وفى الوقت الذى يتهم فيه ابن العبرى الخليفة المعتصم بمعاقرة الخمر، نجد صنوه سعيد بن البطريق ــ وهو مؤرخ نصراني أيضاً يأتي بأخبار المعتصم خالية تماماً من هذه التهمة أو ما شاكلها من أنواع الشراب حتى النبيذ (٣)، وهو ما نجده أيضاً عند مؤرخ نصراني آخر وهو ابن الراهب الذى خلت أخبار المعتصم عنده من مثل هذه الأمور. (٤)

الواثق : لعل الإشارة الوحيدة التى جاءت فى الطبري تلك التى قال فيها الواثق لجليسه، إنه لا يشتهي فى تلك الليلة النبيذ،وأنه يكتفي فيها بالحديث(٥) لكن صاحب الأغاني يصور الواثق بأنه يشرب مراراً لاسيما عندما يطربه الغناء، ويستمر فى شربه حتى السكر. (٦)

وتكاد تخلو المصادر الموثوقة وغيرها تقريباً بعد ذلك من شراب الواثق، ومن تلك المصادر الطبري (٧)، واليعقوبي (٨)، وابن قتيبة (٩)، والذهبي (١٠)، والسيوطي (١١)، كذلك خلت أخبار الواثق عند المؤرخين النصارى مثل ابن العبرى(١٢)، وسعيد ابن البطريق (١٣)، وابن

(١) سير أعلام النبلاء : ج٩ ص٥٥ ــ ٦٣.
(٢) تاريخ الخلفاء : ص٣٣٣ ــ ٣٤٠.
(٣) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق : ص٥٩ ــ ٦١.
(٤) تاريخ ابن الراهب : ص٦٤.
(٥) تاريخ الطبري : ج٩ ص٢٥٩.
(٦) الأغاني : ج٤ ص١١٨، ج٥ ص٣٨١، ج١٩ ص١٩٢.
(٧) تاريخ الطبري : ج٩ ص١٢٣ فما بعد.
(٨) تاريخ اليعقوبي : ج٢ ص٤٧٩ فما بعد.
(٩) المعارف : ص٣٩٣.
(١٠) سير أعلام النبلاء : ج٩ ص٦٣ ــ ٦٨.
(١١) تاريخ الخلفاء : ص٣٤٠ فما بعد.
(١٢) تاريخ الزمان : ص٣٥ فما بعد.
(١٣) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق : ص٦١ ــ ٦٢.

الراهب أيضاً[1]، من أمور الشراب وما شاكلـــه.

ثانياً : نسبة الشاربين ومقدار هذا الشراب.

من الثابت أن بعض خلفاء هذا العصر لم يشربوا حتى النبيذ المحلل مثل أبي العباس السفاح والمنصور والمهدي وغيرهم، ولم يذكر أحد من القدامى أو المحدثين ـــ تقريباً ـــ شـــبهة حـــولهم فى ذلك، ومن ثم فإن بعضاً منهم فقط هم الذين دارت حولهم شبهة شرب النبيذ، والنبيذ هذا حـــلال عند أكبر المذاهب الفقهية ـــ تقريباً ـــ وهو مذهب الأحناف، فضلاً عن أن شراب هـــؤلاء كـــان قليلاً، فالرشيد مثلاً كان يشرب مرتين فى الأسبوع ـــ إذا ثبت ذلك ـــ كما مر سابقاً، ومن ثم فإن الأمر يصبح شرابا نسبيا لمحلل لعدد محدود من الخلفاء.

ثالثاً : مصادر ومراجع هذه الشبهة.

أ ـــ أما المصادر فهي مصادر متخصصة فى المجون والخلاعة والغناء أحيانـــاً، أو مـــصادر يوصف أصحابها بالتعصب وعدم الحياد نظراً لاختلاف الدين أو المذهب أحياناً أخرى، وهكـــذا، ومن أمثلة ذلك :

ـــ أبو الفرج الأصفهاني وكتابه الأغاني : يعد كتاب الأغاني المصدر الرئيسي للروايـــات التى حملت الأخبار الواهية عن الخلفاء من الشرب والغناء والإغراق فى الملذات، وهو الذى اعتمد عليه أكثر المغرضين وأصحاب الأهواء وما شاكلهم ـــ قدامى ومحدثين ـــ فى هذا الموضوع.

والكتاب ملئ بالأساطير والخرافات، وهو كتاب للأغاني والألحان، حاول صاحبه تحويـــل كل ما يتناوله من سير الخلفاء وغيرهم إلى أغاني وألحان وطرب ومجالس لهو وسمر، مثـــل المغنـــيين الذين يمثلون مادة كتابه.

ونجتزئ هنا بعضاً من أقوال النقاد عنه :

قال عنه الخطيب البغدادي : " كان أبو الفرج : أكذب الناس، كان يشتري شيئاً كـــثيراً

(١) تاريخ ابن الراهب : ص٦٤.

من الصحف، ثم تكون كل روايات منها ". (١)

أما هلال بن الحسن الصابي فقال : " كان أبو الفرج الأصفهاني وسخاً قذراً، ولم يغسل له ثوباً منذ فصله إلى أن قطعة، وكان الناس على ذلك يحذرون لسانه، ويتقون هجاءه... لأنه كان وسخاً فى نفسه، ثم فى ثوبه،وفعله..". (٢)

أما ابن الجوزى فقال عنه : " ومثله لا يوثق بروايته، يصرح فى كتبه بما يوجب عليه الفسق ويهون شرب الخمر وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتاب الأغاني رأي كل قبيح ومنكر ". (٣)

أما رواته فهم كذابون وضعفاء فى جلهم على الأقل منهم : (٤)

ـ محمد بن أحمد بن مزيد بن أبي الأزهر البوسنجى : الذى قال عنه رجال الجرح والتعديل، إنه وضع الحديث، وإنه كذاب قبيح الكذب ظاهره، وقد كذبه أصحاب الحديث، ومع ذلك روى عنه الأصفهاني[٨٤] رواية فى كتابه "الأغاني ".

ـ الهيثم بن عدي الكوفي : وهو أيضاً الذى قال عنه علماء الحديث، مثل البخاري والنسائي وأبو داود وغيرهم، إنه يكذب، إلا أن الأصفهاني ذكر له (١٣٠) رواية فى " الأغاني ".

ـ ومنهم هشام بن محمد بن السائب الكلبي : وهو ليس بثقة ومتروك على قول علماء الحديث، وأيضاً والده محمد بن السائب الكلبي الذى اتهمه علماء الحديث، ومنهم البخاري، بأنه كذاب ومتروك، وقد روى عنهما الأصفهاني الكثير من الروايات.

ـ ومنهم أحمد بن عبد الله المعروف بحمار العزيز، الذى قال عنه العلماء إنه كان كثير

(١) تاريخ بغداد : ج١١ ص٣٩٨.

(٢) ياقوت الحموي : معجم الأدباء، ج١٣، ص١٠٠.

(٣) المنتظم : ج٧ ص٤٠ ـ ٤١.

(٤) وليد الأعظمي : السيف اليماني فى نحر الأصفهاني صاحب الأغاني، ص٢٧ ـ٣٣، دار الوفاء ـ المنصورة ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

الوقيعة بين الأكابر من الطعن والذم والشتم لأكابر الأمة، ومع ذلك روى له الأصفهاني [١٨١] رواية فى " الأغانـــي ".

والأصفهاني أموي حيث ينتمي فى نسبه إلى آخر خلفاء بنى أمية مروان الحمار، وهو شيعي أيضاً، وقد روى أنه خلط قبل موته، وقد وصفه الذهبي بأنه " كان وسخاً زرياً، وكـــانوا يتقـــون هجاءه [١] كما جاء عند ياقوت سابقاً ".

ومن ثم يصبح من الطبيعي فى ضوء انتمائه الأموى ومذهبه الشيعي، حيث العداء التقليدي مع العباسيين، وكذلك وصف النقاد له بالضعف والكذب، يصبح من الطبيعي تلفيقـــه وافترائـــه الروايات التى تشوه الخلفاء العباسيين فى جوانب حياتهم المختلفة.

ومن المعروف أنه كتب " الأغاني " فى عهد نفوذ البويهيين لأحد كبار دولتهم، ومعـــروف عداء البويهيين للعباسيين.

ويذكر أنه كتب الأغاني مرة واحدة فى حياته فى مدة ٥٠ سنة كمـــا روى عنـــه، وهـــي النسخة التى أهداها إلى سيف الدولة ابن حمدان، فأعطـــاه ألف دينـــار. [٢]

ـــ ابن العبرى وكتابه تاريخ الزمان : وهو من المصادر التى روجت لهذه الشبهة وحاولت تأكيدها عند بعض الخلفاء، وابن العبرى هذا كاتب نصراني تمتلئ كتاباته عن الخلفـــاء والمـــسلمين عموماً بروح التعصب والتشويه لاسيما فى كتابه تاريخ الزمان، وهو ملئ بالخرافات، وفيما يلـــي مثال لذلك :

قال ابن العبرى : " وظهر يومئذ فى بحر البحرين حوت ضخم طوله نحو ميل أزعج البحر ثلاثة أشهر وتعذر على السباحين فى طلب اللآلئ استئناف مهنتهم، وحين ذاك أرسل الله ـــ عـــز وجل ـــ سمكة صغيرة خشت فى أذن ذلك الحوت الكبير وفتكت به، ثم جرفته الأمواج إلى الـــبر، غير أن لحمه لم تكن تنضجه النار فجعل الأهالي ينشفونه فى الشمس ويدقونه ويأكلونه.

(١) سير أعلام النبلاء : ج١٢ ص٣١٨ ـــ ٣١٩.

(٢) الأعظمي : السيف اليماني، ص٤٦.

وأحضروا فى تلك الغضون إلى عبد الله بن الظاهر أمير خراسان صبياً ولدته أمه خلاف الطبيعة كاملاً بالغاً قد الرجال وقد نبت شارباه ومات. (١)

ب ــ أما المراجع، فهي كتابات حديثة اعتمد أصحابها على روايات قديمة ــ فى أحسن الظروف والأحوال ــ دون نقد أو تمحيص لشكل تلك الروايات أو مضمونها، أو أنهم اعتمدوا على الأهواء الشخصية والأغراض الذاتية، وهم بذلك يمثلون اتجاهاً عاماً، أو وقف اهتمامهم على تحريف التاريخ الإسلامي وطمس معالمه وتشويه رموزه، ولعل أبرز ما اضطلعت به تلك المراجع هو: عدم الأمانة فى النقل وتطويع الروايات للأهواء.

ومن أمثلة ذلك ما رواه الطبري عن ابن دأب أنه دخل على الهادي وكانت عيناه حمراوان من السهر وشرب الليل (٢)، والشرب الوارد فى الرواية غير محدد، إلا أن بعض المحدثين طوع الرواية لتخرج من سياقها وتبعد عن مضمونها لتوافق حكماً أملاه الهوى وحدد الشراب هنا بالخمر(٣)، والطبري لم يسند شرب الخمر للهادي مطلقاً، وإنما جاءت بعض الروايات التى زعمت أن الهادي شرب وهي أربع روايات فقط، دون تحديد نوع الشراب إلا فى رواية واحدة حدد الشراب فيها بالنبيذ (٤)، وأخرى ذكرت أنه ناول الربيع كأساً فيه شراب عسل (٥)، ورواية ثالثة ذكرت الشراب دون تحديد (٦)، والرابعة التى سبق ذكرها حين حل عليه ابن دأب وهي لم تحدد أيضاً، ومن ذلك أيضاً الرواية التى سيأتي ذكرها فى " حكم النبيذ ".

(١) تاريخ الزمان : ص٢٩.

(٢) تاريخ الطبري : ج١٠ ص٢٢٣.

(٣) د. عبد المنعم ماجد : العصر العباسي الأول، ص٢٣٥، مكتبة الأنجلو ــ مصر ــ ١٩٧٣م.

(٤) تاريخ الطبري : ج١٠ ص٢٢٢.

(٥) السابق : ص٢٢٨.

(٦) السابق : ص٢٢٧.

رابعاً : حقيقة الشراب وحكمه :

ثمة حقائق تبدو واضحة بين يدي هذا الموضوع :

ـ عدم فهم معنى الشراب أو تعمد إساءة فهمه.

وذلك أن لفظ الشراب قد جاء على إطلاقه دون تقييد أو تخصيص في أغلب النصوص الأدبية ـ ذات المضمون التاريخي ـ والتاريخية أيضاً، مما فتح الباب أمام المغرضين، والجاهلين لأجناس الأشربة وأنواعها ومراحل تحضيرها إلى صرف المعنى إلى شرب الخمر، أو على الأقل الأنبذة المحرمة.

ـ النبيذ غير الخمر :

وذلك أن الخمر قد حددت في بعض النصوص النبوية بأنها تخرج من ثمار معينة مثل العنب والتمر وثمار الكرم، وبعد أن تمر بمراحل معينة من الغليان والشدة في ذلك حتى القذف بالزبد، أو كل عصير من هذه الثمار أو غيرها من العسل والحنطة والشعير... إلخ، إذا وصل إلى درجة السكر، حيث يخامر العقل فيختلط، وينصرف عن دوره ووظيفته في الإدراك والتفكير والإتزان... إلخ طوال فترة السكر.

أما النبيذ فهو مراحل دنيا لبعض الثمار، لها فوائد كثير ـ سوف يذكرها لنا الجاحظ لاحقاً ـ ولا تبلغ درجة السكر.

ـ الاختلاف في حكم النبيذ :

وبناءً على هذا التباين في صوره المختلفة الجنس والتكوين، والضرر أو الفائدة، والسكر أو عدمه، جاء التباين في الحكم، فبينما كان الاتفاق على التحريم بالنسبة للخمر، جاء التباين فيه بالنسبة للنبيذ ـ كما سيأتي مفصلاً ـ.

لكن المالكية والشافعية والحنابلة يذهبون إلى تحريم كل شراب يسكر كثيره، وقليله عندهم حرام، ويسمى خمراً وفي شربه الحد سواء أكان من عنب أو زبيب أو حنطة أو شعير أو تين أو ذرة

أو عسل أو لبن ونحو ذلك، نيئاً كان أو مطبوخاً لأن اسم الخمر لغة ـــ ما خامر العقل ـــ وروى عنه ـــ ﷺ ـــ قال : " كل مسكر خمر " فالخمر حقيقة لغوية فى عصير العنب المشتد، وحقيقة شرعية فى غيره مما يسكر من الأشربة، أو قياس فى اللغة، وفى الحديث المتفق عليه، قال عمر ـــ رضى الله عنه ـــ " نزل تحريم الخمر وهي خمسة : من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير، والخمر ما خامر العقل ". (١)

أما الحنفية فيرون أن الخمر هو ما أسكر لقوله ﷺ " كل مسكر خمر "، ولأنه مخامرة العقل، أى غطاه وخالطه فلم يتركه على حاله، وذلك موجود فى كل مسكر (٢)، وقد دافع الجاحظ كثيراً عن تحليل النبيذ وبسط فى فوائده. (٣)

ـــ عدم شرب الخلفاء للخمر.

فهذه كبيرة من الكبائر، وأم الخبائث، ولم يأت بذلك خبر صحيح أو رواية موثوقة، وإنما ما جاء عبارة عن أخبار واهية فى وعاءات خاوية مثل" الأغاني " الذى حول سير الخلفاء وحياتهم إلى أغاني وملاهي، كيف هذا والكثير منهم لم يشرب حتى النبيذ المحلل لدى أكبر الأئمة والمذاهب ـــ تقريباً ـــ وكذلك سيرتهم التى كانت عبارة عن جهاد وغزو وعبادة ـــ كما سبق بسطه ـــ وكيف وهم أقارب نبي الأمة ورواة حديثه وخلفاء أمته، وهم أيضاً المحاسبون والمعاقبون لشاربيها بل لشاربي النبيذ أحياناً ـــ وقد سبق بيان ذلك ـــ.

ـــ انتشار الخمر عند العناصر غير الإسلامية فى هذا العصر :

ومن هؤلاء الفرس من الخراسانيين وغيرهم، حيث أخذوا يعبون كئوس الخمر مترعة، وتهالك الشعراء عليها من حولهم. (٤)

(١) عبد الرحمن الجزيري : الفقه على المذاهب الأربعة، ج٥ ص١٦.

(٢) السابق : ج٥ ص١٨ ـــ ١٩.

(٣) رسائل الجاحظ : ج٣ ص٢٦٣ وما بعدها.

(٤) د. شوقي ضيف : العصر العباسي الأول، ص٦٧.

وقد تفنن هؤلاء الشعراء فى وصف نشوتها وآثارها فى الجسد والعقل ووصف وكئوسها ومجالسها وندمائها وسقاتها وكانوا عادة من النصارى والمجوس واليهود، وكانوا يزينون رءوسهم بأكاليل الزهر كما يزينون قاعة الشراب بالرياحين. (١)

كما كانت الأديرة تقدم لروادها الخمر المعتقة وقد استحالت قاعات شرابها إلى مجتمعات لطلاب الخمر والمجون من الشعراء وغيرهم، وكانت متناثرة فى ضواحي بغداد وغيرها من مدن العراق، ونرى الشعراء الماجنين يذكرون خمرها ونشوتها ورهبانها وراهباتها من مثل قول أبي نواس :

يا دير حنة من ذات الأكيراح ∴ من يصح عنك فإني لست بالصاحي

رأيت فيك ظباء لا قرون لها ∴ يلعبن منا بألباب وأرواح (٢)

ومما لا ريب فيه أن إدمان الخمر حينئذ دفع إلى كثير من المجون والعبث والإباحية، وكان المجتمع زاخراً بزنادقة وملاحدة وأناس من ديانات شتى مجوسية وغير مجوسية، فمضى كثيرون يطلقون لأنفسهم العنان فى ارتكاب الآثام متحررين من كل قانون للخلق والعرف والدين. (٣)

وليس معنى ذلك أن الحياة فى بغداد كانت كلها مجوناً وتهالكاً على الفجر والعهر... إنما هو الكرخ حيث بيوت النخاسين والمقينين ومن يفدون عليها من الفتيان والشعراء للشراب والمجون فى غير استخفاء ولا حياء. (٤)

ومن ثم لا ينبغي الخلط بين تلك الدخيلة التى لا يحكمها خلق ولا دين — فى إطار حرية كانوا ينعمون بها فى المجتمع الإسلامي — وبين مجتمع يقوم على الدين والفضيلة والنظام والثواب والعقاب وعلى رأس هذا المجتمع خلفاء على هذا المستوى من الدين والخلق الذى بسط سابقاً.

(١) السابق، ص٦٨.

(٢) السابق، ص٦٩.

(٣) د. شوقى ضيف العصر العباسى الأول، ص٧١.

(٤) السابق : ص٧٣.

ـ النبيذ :

عقد الجاحظ فصلاً خاصاً عن أنواع المشروبات، وفرق بين النبيذ والخمر كما ذكر أنواع الأنبذة وصفاتها وبين جيدها ورديئها، ونافعها وضارها.

ـ أنواع الأنبذة :

ومن هذه الأنبذة التى ذكرها الجاحظ : [1]

ـ نبيذ الزبيب الحمصي ـ نسبة إلى مدينة حمص.

ـ نبيذ العسل الماذى.

ـ نبيذ عسل الكرم.

ـ نبيذ عسل مصر.

ـ نبيذ الكمش ـ ضرب من العنب ـ.

ـ نبيذ الجزر.

ـ نبيذ التمر المعتق.

ـ نبيذ التيـــن.

ـ نبيذ السكر.

ـ فوائد النبيذ :

أكثر الجاحظ من ذكر فوائد وصفات الأنبذة المختلفة، ومن ذلك : نبيذ التين، الذى قال عنه إنه لين العريكة، سلسل الطبيعة، عذب المذاق، سريع الإطلاق، مرهم للعـــروق، نـــضوح ـ

(١) الجاحظ : رسائل الجاحظ، ج٣ ص٢٦٨ وما بعدها، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، الخانجي ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

الرش بالماء أو الطيب ـــ للكبد، فتاح للسدد غسال للأمعاء، أخاذ للثمن، جلاب للمؤدن. (١)

ومن الفوائد العامة للنبيذ ـــ كما ذكر الجاحظ ـــ أنه يهضم الطعام ـــ ويوطئ المنام، وهو فى لطائق الجسم سار، وفى خفيفات العروق جار، ولا يضر معه برغوث ولا بعوض ولا جرجس عضوض. (٢)

وهو يخاطب الشارب له بقوله : إذا شربته عدلت به طبيعتك، وأصلحت به صفار جسمك، وأظهرت به حمة لونك، فاستبدلت به من السقم صحة، ومن حلول العجز قوة ومن الكسل نشاطاً، وإلى اللذة إنباسطاً، ومن الغم فرجا، ومن الجمود تحركاً... يترك الضعيف وهو مثل أسد العرين يلان له ولا يلين. (٣)

ويقول أيضاً عن فوائده : الجيد من الأنبذة يصفي الذهن ويقوي الركن، ويشد القلب والظهر... ويشحذ المعدة، ويهيج للطعام الشهوة... ويشد البضعة ويزيد فى النطفة... ويمنح الطحال من العظم والمعدة من التخم، ويحدر المرة والبلغم، ويلطف دق العروق ويجريه ويرقه ويصفيه. (٤)

ـــ النبيذ غير الخمر :

كما سبق إيضاح هذه الحقيقة، فإن النبيذ يختلف عن الخمر فى طبيعة تكوينه، وآثاره وحكمه الشرعي، والمعاقرون للخمر لا يرضون بها بدلاً من نبيذ أو غيره، فهذا الشاعر " السرادق " كان كما يروى ابن قتيبة مولعاً بشراب الخمر فعاتبته ابنته على شربها، فقال لها : يا بنية لا صبر لى عنها، وقد صارت غذاء قالت له : ففي نبيذ التمر لك عوض، فأمرها فاتخذت له نبيذ تمر، فشرب منه أياماً، فلم يوافقه، فعاد إلى الخمر، وقال :

(١) الجاحظ : رسائل الجاحظ، ج٣ ص٢٧٢.

(٢) السابق : ص٢٦٣.

(٣) السابق : ص٢٦٣.

(٤) الجاحظ : رسائل الجاحظ، ص٢٦٤.

عـــروق الـــصدر تعلـــم أن هـــذا لـــه ∴ طـــرق ســـوى طـــرق النبيـــذ [1]

وقد فرق الجاحظ ــ وغيره أيضاً ــ بين النبيذ والخمر وذكر أنواعه وصفاته وفوائده وبين صفات وأحوال من يفضل الخمر على النبيذ فقال : " اعلم ــ أكرمك الله ــ أنك لو بحثت عـــن أحوال من يؤثر شرب الخمور على الأنبذة، لم تجد إلا جاهلاً مخذولاً، أو حدثاً مغروراً، أو خليعـــا ماجناً، أو رعاعاً همجا، ومن إذا غدا بهيمة، وإذا راح نعامة. [2]

ــ التجني على الفقهاء وتطويع الحقائق :

فى صراحة سافرة وتجني واضح، تنسحب الألسنة، وتجري الأقلام بالقول : " عمد بعـــض المتلقين من الفقهاء ورجال الدين إلى انتحال المسوغات لشربها ــ الخمر ــ فأخـــذوا يبحثـــون فى الفرق بين أنواعها وميزوا بين المحلل والمحرم منها، فأجمعوا على تحريم الخمر، واختلفوا فى تحريم النبيذ وفى أى أنواعه حلال وأيها حرام ". [3]

وفى هذا الإطار يأتي ما ذكره البعض من " أنه كان من أسباب انتشار الخمر وإقبال الناس عليها أن أدى اجتهاد بعض فقهاء العراق إلى تحليل بعض الأنبذة كنبيذ التمر والزبيب المطبوخ أدنى طبخ ونبيذ العسل والبر والتين " فشرب الخلفاء هذه الأنبذة وشربها الناس ــ إمعاناً فى المجـــون ــ على أنواعها المحرمة بإجماع الفقهاء. [4]

وصاحب هذا النص الأخير ينقل شقه الأول ــ والذى اعتمد عليه فى حكمه الذى يمثلـــه الشق الأخير من النص ــ عن غيره، لكنه نقل غير أمين طوع فيه النص لهوى الناقل وأخفيت فيـــه الحقيقة ليأتي موافقا لحكمه الذى لا يستند إلا إلى الهوى والأخبار الواهية وتطويع الحقائق كمـــا فى هذا المثال، والنص عند صاحبه الأصلي تتبين فيه الحقيقة التى واراها الناقـــل، وهـــي أن " بعـــض

(١) الشعر والشعراء : ج٢ ص٦٩٠.

(٢) الجاحظ : السابق، ج٣ ص٢٧٣.

(٣) د. مؤيد فاضل شهاب : ص٤٤. والنص لجورجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي، ج٥ ص١٤٤.

(٤) د. شوقي ضيف : العصر العباسي الأول، ص٦٥ ــ ٦٦.

الفقهاء " فى النص المنقول إنما هو الإمام أبو حنيفة فى النص الأصلي، وأنه لو أعلن عنه فى النقل لما استطاع الناقل ادعاءه بأن هذه الأنبذة على أنواعها محرمة بإجماع الفقهاء، لأن هذا واحد من أكبر وأهم أربعة فقهاء فى الفقه الإسلامي كما أنه صاحب مذهب من أهم وأكبر أربعة مذاهب، إن لم يكن أهمها وأكبرها على الإطلاق، فتكبيره وإخفاء اسمه يسوغ الحكم، فى نظر الناقل ـ بإجماع الفقهاء على التحريم حتى يجرم الفاعل [الشارب].

أما سبب اجتهاد أبي حنيفة فى النص المنقول فهو انتشار الخمر وإقبال الناس عليها ـ وذلك فى العصر العباسي ـ إلا أن سبب اجتهاد أبي حنيفة فى هذه المسألة هي أنه كان يتبع فى هذا الرأي الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود إمام مدرسة العراق، وأن ثمة ارتباط بين فقه أبي حنيفة وابن مسعود، وابن مسعود ـ كما يروى كان يرى حل النبيذ وتبعه التابعون من الكوفيين وجعلوه أعظم حججهم، وقال فى ذلك شاعرهم :

من ذا يحرم ماء المزن خالطه ∴ فى جوف خابية ماء العناقيد ؟

إني لأكره تشديد الرواة لنا ∴ فيه، ويعجبني قول ابن مسعود

وهذا ما جاء فى النص الأصلي [1]، إلا أن ثمة حقيقة أساسية فى هذه المسألة، وهي أنها مسألة قديمة، ترجع إلى عصر النبي والصحابة، والإمام أبو حنيفة وهو صاحب أكبر المذاهب آنذاك ـ تقريباً ـ كان لابد أن يدلي فيها بدلوه لاسيما وهي أهم المسائل الفقهية فى باب الأشربة، حيث إن الخمر متفق على تحريمها.

ومن ثم فإن اجتهاد الإمام إنما كان لضرورة فقهية واقعية قديمة تسبق عصره وتفرض على مذهبه، ولم يكن ليحابي أو يغازل خليفة أو زعيم سياسي وهذا ينسحب أيضاً على كل الفقهاء وعلماء الدين الذين اتهمهم البعض ـ فيما سبق ـ بالتسلق لانتحال المسوغات لشرب الخمر، وسوف يتبين عمق هذا الخلاف بين المذاهب الأربعة، والاعتماد على النصوص النبوية، وقدم هذه المسألة.

(١) النص الأصلي فى أحمد أمين : ضحى الإسلام، ج١ ص١٣٧ ـ ١٣٨.

ومما جاء فى هذا الإطار أيضاً قول البعض إنه " وجدت آراء تحلل شرب نوع من الخمر"[1]، والعبارة بهذه الألفاظ وفى هذا السياق تجعل هؤلاء الفقهاء وعلماء الدين يحللون ما هو مقطوع بتحريمه من القرآن والسنة وهو الخمر.

ـ الاختلاف فى حكم النبيذ :

من الثابت فقهياً أن ثمة اختلافاً بين الفقهاء فى حكم الأنبذة، حيث ذهب الأحناف إلى أن نبيذ الحنطة والتين والأرز والشعير والذرة والعسل حلال نقيعاً ومطبوخاً، وإنما حرم المسكر منه، ويحد فيه إذا أسكر كثيره، وكذا المتخذ من الألبان إذا اشتد. [2]

أما نقيع التمر والزبيب إذا غلي واشتد فإنه يحرم قليله وكثيره، ويسمى نبيذاً لا خمراً، فإن أسكر ففي شربه الحد، ويكون نجساً نجاسة مغلظة، لثبوتها بالدليل القطعي، حيث قال رسول الله ﷺ " الخمر من هاتين الشجرتين، وأشار إلى الكرم، والنخلة " فإن طبخا، أو كان فى طبيخ حل منهما ما يغلب على ظن الشارب منه أنه لا يسكر، من غير طرب، فإن اشتد غليانهما حرم الشرب منهما. [3]

وقد روى الجماعة إلا البخاري، عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبي ﷺ قوله " الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنبة ". [4]

** وقد استدل الأحناف على رأيهم بـ : [5]

١ـ قوله تعالى : { ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً }، فقد من الله تعالى على عباده باتخاذ السكر من النخيل والأعناب وما نحن فيه سكر ورزق حسن،

(١) د. عبد المنعم ماجد : العصر العباسي الأول : ص٢٣٤.

(٢) عبد الرحمن الجزيري : الفقه على المذاهب، ج٥ ص١٦، دار المنار ـ مصر ـ ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

(٣) السابق : ج٥ ص١٦.

(٤) عبد الرحمن الجزائرى : الفقه على المذاهب، ص١٨.

(٥) السابق : ص٢٠ ـ ٢١.

فوجب أن يكون مباحاً لأن المنة لا تكون إلا لمباح.

٢ــ التمسك بآثار الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ وأن اسم الخمر المحرم شربه إنما هو من عصير العنف والتمر إذا غلي واشتد وقذف بالزبد.

٣ــ ما روى عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ أن رسول الله ﷺ أتى السقاية عام حجة الوداع، فاستند إليهما، وقال : " اسقوني، فقال العباس : ألا أسقيك مما ننبذه فى بيوتنا ؟ فقال : ما تسقي الناس، فجاءه بقدح من نبيذ فشمه فقطب وجهه ورده، فقال العباس : يا رسول الله : أفسدت على أهل مكة شرابهم فقال ﷺ ردوا على القدح، فردوه عليه، فدعا بماء زمزم وصب عليه وشرب، وقال إذا اغتلمت عليكم هذه الأشربة فاقطعوا غلمتها بالماء، وقد منع أبو حنيفة شرب البسر والتمر والزبيب إذا كان شديداً يسكر. (١)

وقد روى الإمام مالك أن عمر بن الخطاب عندما قدم الشام شكا إليه أهل الشام وباء الأرض وثقلها، وقالوا : لا يصلح لنا إلا هذا الشراب، قال : اشربوا العسل، قال : لا يصلحنا العسل، قال رجل من أهل الأرض : هل لك أن أجعل لك من هذا الشراب شيئاً لا يسكر، قال : نعم، فطبخوه حتى ذهب ثلثاه وبقى ثلثه، فأتوا به عمر بن الخطاب، فأدخل إصبعه فيه ثم رفع يده فتبعه يتمطط، فقال : هذا الطلاء مثل طلاء الإبل، فأمرهم أن يشربوه، فقال له عبادة بن الصامت : أحللتها والله، قال : كلا والله ما أحللتها، اللهم إنى لا أحل شيئاً حرمته عليهم، ولا أحرم عليهم شيئاً أحللته لهم، وقد روى أن عمر أحل من الشراب ما يطبخ ــ يذهب ــ ثلثاه ويبقى ثلثه (٢)، ثم قال محمد ــ لعله محمد بن الحسن الشيباني ــ وبهذا نأخذ، لا بأس بشرب الطلاء الذى ذهب ثلثاه وبقى ثلثه وهو لا يسكر، فأما كل معتق يسكر فلا خير فيه. (٣)

وقد وافق عمر ومن ذكر معه على الحكم المذكور، أبو موسى، وأبو الدرداء، وأخرجه

(١) مالك بن أنس : موطأ مالك، ص٢٧٧، تحقيق د. عبد الوهاب عبد اللطيف، ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ القاهرة ــ ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

(٢) السابق : ص٢٩٩.

(٣) عبد الرحمن الجزيري : الفقه على المذاهب الأربعة، ج٥ ص٢٣.

النسائي عنهما، والإمام علي ـــ كرم الله وجهه ـــ وأبو إمامه وخالد بن الوليد وغيرهم، أخرجه ابن أبي شيبة، وغيره، ومن التابعين ابن المسيب والحسن، وعكرمة، ومن الفقهاء الثوري والليث. (١)

وهذا الرأي هو نفسه رأي الأحناف، إذ أنهم حرموا العصير الذى ذهب ثلثه بعد الطبخ ـــ وهو الطلاء ـــ وكذلك الذى ذهب نصفه ـــ وهو المنصف ـــ وذلك إذا غلي واشتد وقذف بالزبد، لكنهم أحلوه إذا طبخ فذهب ثلثاه وإن اشتد، إذا قصد به التقوى، وإن قصد به التلهي فهو حرام، وذلك لقول عمر : اطبخوا شرابكم حتى يذهب نصيب الشيطان اثنين، ولكم واحد.(٢)

كما أن المالكية والشافعية والحنابلة، أجازوا شرب العصير المطبوخ مالم يسكر، وقد أخرج الإمام مالك بإسناد صحيح " أن عمر بن الخطاب ـــ رضى الله عنه ـــ قال : إنى وجدت من فلان ريح شراب، فزعم أنه شرب الطلاء، وإني سائل عما شرب، فإن كان يسكر جلدته، فسأل عنه فوجده يسكر فجلده عمر الحد تاماً ". (٣)

وقد ثبت عن النبي ﷺ قوله : " عندما سئل عن البتع، وهو شراب العسل الذى كان يتخذه أهل اليمن، " كل شراب أسكر فهو حرام ". (٤)

(١) عبد الرحمن الجزيري : الفقه على المذاهب الأربعة، ج٥ ص٢٣.

(٢) السابق : ص٢٣.

(٣) عبد الرحمن الجزيرى : ص٢٣.

(٤) الإمام مالك : الموطأ، ص٢٢٦.

الخاتمة

تبين فيما سبق أن الأمر لا يتعدى اشارات قليلة لدى بعض المصادر الموثوق بأصحابها عن شراب القليل من الخلفاء للنبيذ المحلل لدى أكبر المذاهب الفقهية تقريبا ، وهو المذهب الحنفى ، مع عدم الثبوت القطعى لهذه الإشارات على قلتها .

فالاجماع على أبا العباس السفاح والمنصور لم يشربا حتى هذا النبيذ المذكور آنفا ولم يسمحا به ، وكذلك المهدى وقد نص الطبرى ـــ من خلال رواته ـــ والجهشيارى بل حت صاحب الأغانى الذى يعد من أكبر من روج لهذه الشبهة على عدم شراب المهدى ، وكذلك الهادى ، بل إنهما كان يعاقبان عليه مثلما كان يفعل كل من أبو العباس والمنصور ، ومن ذلك معاقبة المهدى للشاعرين أبي دلامة وحماد عجرد ، ومحاسبة الهادى لشاعر يسمى عكاشة ظن من شعره أنه شرب حتى أثبت له الشاعر عكس ذلك . وكانت أكثر جلسات المهدى ومسامراته مع واحد من أكبر علماء وأدباء عصره وهو عيسى بن دأب .

كما كان الهادى يتصف بصفات تناقض صفات شارب الخمر ؛ حيث وصفه المؤرخون بأنه كان غيورا كريما شهما شديدا شجاعا جوادا سخيا ، فضلا عن روايته لحديث رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم .

أما الرشيد فقد قيل فى دينه وخلقه وورعه ملا يجمع معه بحال من الأحوال هذا الأمر المشين ؛ فقد جاء فى سيرته لدى المؤرخين أنه كان يحج عاما ويغزو عاما ، ويصلى مائة ركعة فى اليوم ، وينفق ألف درهم من ماله الخاص ، ويبكى حين يوعظ حتى يشهق ، إلى غير ذلك ، ولم ينص المؤرخون الثقات على اسناد هذه الشبهة للرشيد ، بل إن إحدى روايات صاحب الأغانى تبين تحرج الرشيد من النبيذ ، بل معاقبته عليه ـــ كما تبين ـــ وإن كان ثمة شئ من هذا الأمر ، فهو النبيذ المحلل عند الأحناف وفى أوقات قليلة جدا حددها الجاحظ بمرتين كل جمعة ، ودون أن يراه أحد إلا خواص جواريه وخدمه .

أما باقى خلفاء هذا العصر وهم الأمين والمأمون والمعتصم والواثق فقد اقتصرت ـــ تقريبا ـــ أشارات شربهم للنبيذ عند صاحب الأغانى ، وبعضها جاء فى الجهشيارى والمسعودى بالنسبة للأمين ، وثلاث إشارات عند الطبرى بالنسبة للعتصم ، واتهام المؤرخ النصرانى ابن العبرى للمعتصم بهذه الشبهة ، فى حين تبرئة صنويه سعيد بن البطريق وابن الراهب له منها ، وإشارة واحدة فى الطبرى بالنسبة للواثق ، كل ذلك ينصرف للنبيذ لا الخمر .

وفيما عدا ذلك خلت سير هؤلاء الخلفاء لدى المؤرخين من إسناد هذا الأمر لهم ، من مثل الطبرى ـــ فى غير ما ذكر ـــ والمسعودى واليعقوبى وابن قتيبة والدينورى وابن طاهر المقدسى والخطيب البغدادى والذهبى وابن كثير والسيوطى وغيرهم .

أما فيما يتعلق بنسبة الشاربين من الخلفاء ، فقد تبين أن الأمر لا يتجاوز ـــ أن ثبت ما ذكر ـــ عددا قليلا منهم ، وأن الشراب كان نسبيا وفى ظروف خاصة وأوقات قليلة ، والأهم من ذلك أن هذا الشراب كان حلالا على رأى أكبر المذاهب الفقهية ، فضلا عن فوائده الكثيرة التى عينها الجاحظ فى رسائله كما تبين تفصيله فى ثنايا الدراسة .

أما مصدر هذه الشبهة والترويج لها فقد تبين أنها تكاد تتركز فى كتاب الأغانى لمؤلفه الأموى الشيعى أبى الفرج الأصفهانى الذى أراد أن يجعل من كل خبر تناوله مادة للتسلية والسمر والغناء بل الخلاعة والمجون ، غير عابئ بصاحب هذا الخبر ، عالم أو خليفة أو غيرذلك ، وجعل هؤلاء فى مصاف الماجنين والداعرين من الشعراء والمغنين الذين تناول أخبارهم فى كتابه هذا . وقد وصفه المؤرخون بأشد الأوصاف نفورا ؛ فقال عنه البغدادى : أكذب الناس ، كما تبين سابقا تفصيلا ، وروى ياقوت أنه كان : وسخا قذرا فى نفسه ثم فى ثوبه وفعله ... ، وكذلك وصف رواته بأنهم كذابون ، ومعروف عداء الأمويين والشيعة للعباسيين .

أما المصدر الثانى فهو العقد الفريد لابن عبد ربه ، وهو أيضا أموى شيعى ، ومن المصادر الأخرى تاريخ الزمان لابن العبرى ، وهو مؤرخ نصرانى تجنى كثيرا على الاسلام ورجاله فى هذا الكتاب ، ومنهم هؤلاء الخلفاء ، فضلا عن أنه عاش فى وقت متأخر كثيرا عن هؤلاء الخلفاء .

أما إشارات الطبرى فهى قليلة جدا وليست للطبرى ذاته وإنما لرواته كما دلنا فى مقدمة كتابه وقد غلب على هؤلاء الرواة التشيع ، واتصف بعضهم بالكذب ، وهذا لا ينقص من قدر الطبرى ؛ حيث بين منهجه فى ذلك .

المصـــادر والمراجـــع

أولا : المصـــادر

ـــ الأزدى

تاريخ الموصل ،تحقيق د. على حبيبة ،المجلس الأعلى للـــشئون الإســـلامية ـــ مـــصر ـــ ١٣٨٧هـــ /١٩٦٧م.

ـــ الأصفهاني ، أبو الفرج على بن الحسين بن محمد ت[٣٥٦هـــ/٩٦٦م]

الأغاني ، ط الدار التونسية للنشر ـــ تونس ، دار الثقافة ـــ بيروت ـــ ١٩٨٣ .

ـــ ابن البطريق .

التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ـــ بيروت ـــ ١٩٠٩ م

ـــ البغدادي ، أحمد بن علي الخطيب ت [٤٦٣هـــ / ١٠٧١م]

تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ بدون تاريخ الطبعة .

ـــ الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر [١٥٩ـــ ٢٥٥هـــ /٧٧٦ ـــ ٨٦٨م]

رسائل الجاحظ ،تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجى ـــ مصر ـــ ١٣٩٩ هـــ / ١٩٧٩م

كتاب التاج في أخلاق الملوك ، تحقيق أحمد زكي باشا ـــ للقاهرة ـــ ١٩١٤م

ـــ الجهشيارى : أبو عبد الله محمد بن عبدوس ت[٣٣١هـــ / ٩٤٢م]

الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ـــ مصر ـــ ٢٠٠٤م.

ـــ ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ت [٨٠٨هـ / ١٤٠٥م]

المقدمة ، دار الجيل ـــ بيروت ـــ بدون سنة الطبع .

ـــ خليفة بن خياط : أبو عمرو ، ت [٢٤٠هـ / ٨٥٤م]

تاريخ خليفة بن خياط ، دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م

ـــ الدينورى : أحمد بن داود [٢٨٢هـ / ٨٩٥م]

الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ،دار الثقافة والإرشاد القومى ـــ مصر ـــ بدون تاريخ الطبع .

ـــ الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان ت [٧٤٨هـ / ١٣٤٧م]

سير أعلام النبلاء ، تحقيق محب الدين العمروي ، دار الفكر ـــ بيروت ـــ ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

ـــ ابن الراهب .

تاريخ ابن الراهب ، بروت ، بدون بيانات أخرى .

ـــ السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت [٩١١ هـ/١٥٠٥م]

تاريخ الخلفاء ، دار الجيل ـــ بيروت ـــ[١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م]

ـــ ابن طباطبا ، محمد بن على

الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دارصادر ـــ بيروت ـــ بدون تاريخ الطبع .

ـــ الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ، ت [٣١٠هـ/ ٩٢٢م]

تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ـــ ١٩٧٧ ، ١٩٧٩م .

ـــ ابن العبرى .

تاريخ الزمان ، ت إسحق أرملة ، دار المشرق ، ١٩٨٦ م .

ـــ ابن قتيبة : أبو عبد الله ابن صدر مسلم ، ت[٢٧٦هـ / ٨٨٩م] .

الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ـــ مصر ١٩٨٢م .

المعارف ، تحقيق د. ثروت عكاشة ، ط٤ دار المعرف ـــ مصر ـــ ١٩٨١ م

ـــ ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ، ت[٧٧٤هـ / ١٣٧٢م] .

البداية والنهاية ، تحقيق محمد عبد العزيز النجار ، دار الغد العربي ـــ القاهرة ١٩٩٠ ـــ ١٩٩٢م .

ـــ مالك بن أنس ، أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحى ت[١٧٩ هـ]

الموطأ ، تحقيق د. عبد الوهاب عبد اللطيف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـــ القاهرة ـــ ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م .

ـــ المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين ت [٣٤٥هـ/ ٩٣٦م]

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ـــ بيروت ـــ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

ـــ ابن مسكوية : أحمد بن محمد بن يعقوب ، ت[٤٢١هـ / ١٠٣٠م] .

تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، تحقيق سيد كسروى حسن ، دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤ م .

ـــ ابن المعتز ، عبدالله بن جعفر بن محمد ت [٢٤٧ـــ ٢٩٦هـ /٨٦١ـــ ٩٠٩م].

طبقات الشعراء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف ــ مصر ــ ١٩٨١م

ــ المقدسى ، المطهر بن طاهر ت [٣٥٥ هـ/ ٩٦٥م]

البدء والتاريخ ، ط باريس ١٨٩٩ م

ــ ياقوت الحموى ، شهاب الدين أبوعبد الله بن عبد الله ت [٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م]

معجم الأدباء ، تحقيق إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامى ، ١٩٩٣م .

ــ اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب ت [٢٨٢هـ / ٨٩٥م] .

تاريخ اليعقوبى ، دار صادر ــ بيروت ــ بدون سنة الطبع .

ثانيـــا : المراجـــع

ـــ أحمد أمين

ضحى الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م .

ـــ أحمد فريد الرفاعى

عصر المأمون ، دار الكتب المصرية ،١٣٤٦ هـــ / ١٩٢٨ م .

ـــ أندريه ميكيل

الإسلام وحضارته ، ت د . زينب عبد العزيز ، المكتبة العصرية ـــ بيروت ـــ ١٩٨١م .

ـــ د .حسن إبراهيم

تاريخ الإسلام ، دار الجيل ـــ بيروت ـــ مكتبة النهضة المصرية ـــ القـــاهرة ـــ ط ١٤ ١٤١٦هـــــ / ١٩٩٦م .

ـــ د . شوقي ضيف

تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، دار المعارف ـــ مصر ـــ ١٩٨٦م

ـــ عبد الرحمن الجزيرى

الفقه على المذاهب الأربعة ، دار المنار ـــ مصر ـــ ١٤٢٠ هـــ / ١٩٩٩ م .

ـــ د. عبد المنعم ماجد

العصر العباسى الأول ، مكتبة الإنجلو ــ مصر ــ ١٩٧٣ م .

ــ محمد الخضري

الدولة العباسية ، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٧٠

ــ وليد الأعظمى

السيف اليمانى فى نحر الأصفهانى صاحب الأغانى ، دار الوفاء ــ المنصورة ــ ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م .